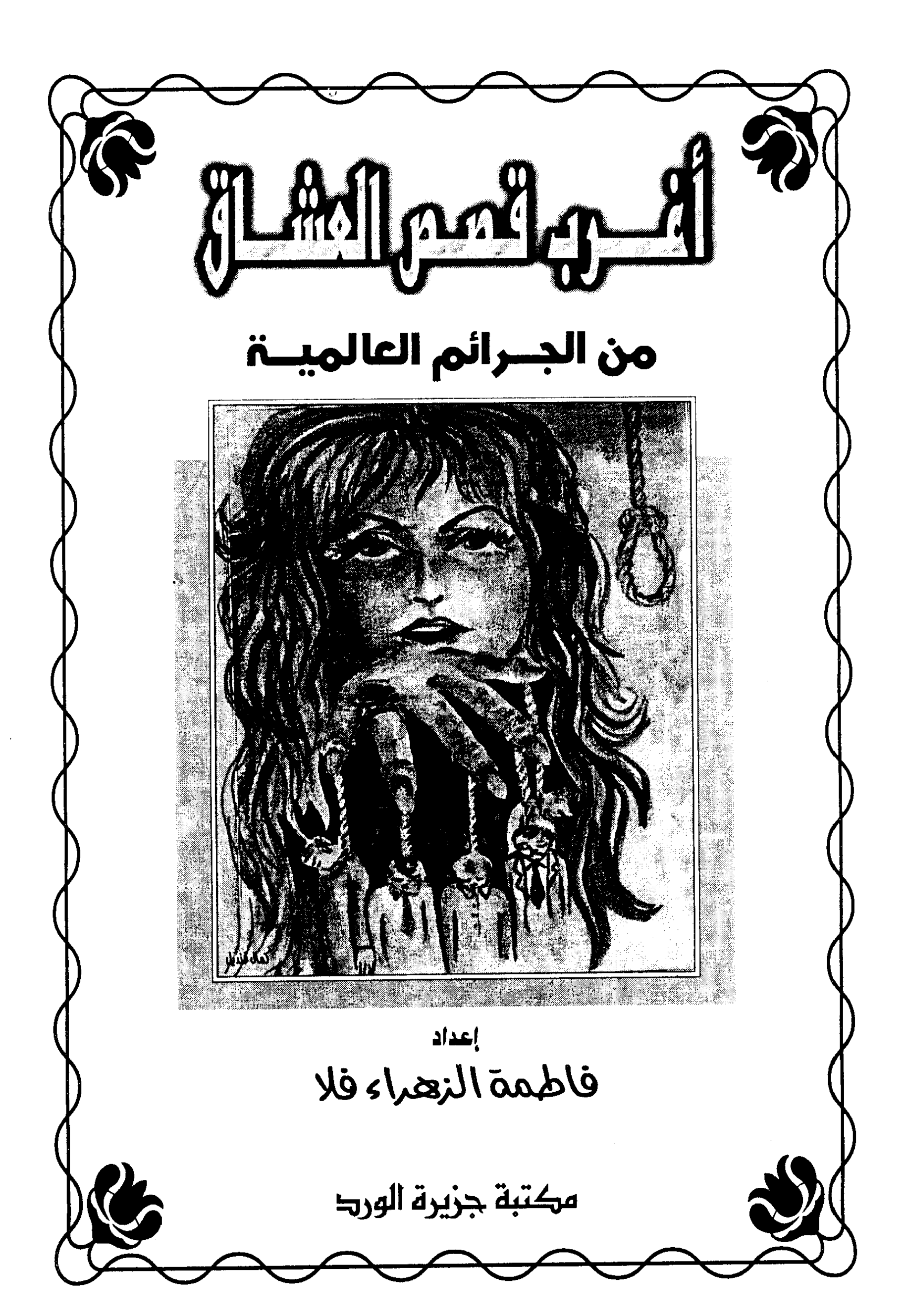

أغرب قصص العشاق
من الجرائم العالمية
إعداد
فاطمة الزهراء فلا
مكتبة جزيرة الورد

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان - المنصورة
☎ ٢٢٥٧٨٨٢

إخراج فني وكمبيوتر
بانوراما قنديل للفنون ☎ ٢٤٣٥٥٩٧ / ٠٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كثير من القصص .. أبطالها رجال ونساء لجأوا إلى القتل والسرقة والخيانة والخداع تحت وطأة أسباب عديدة معظمها مخز ولكن أغلبها وقعت بدافع الحب وهذا ما يجعلنا نتعاطف مع مثل هذه الجرائم لأن عاطفة الحب عندما تتحكم فى عقل المرء تطيح بتوازنه لدرجة الاختلال.. لابد للوجدان الانسانى إلا أن يتأثر.

أرتكب هذه الجرائم بدافع الغيرة أحياناً كما فى حالة «روث أليس» التى أفرغت مسدسها ببرود فى جسد عشيقها بعد أن هجرها ثم انتظرت الشرطة بجنان ثابت .

أوعندما قطع رجل فى مركز اجتماعى مرموق عرض مسرحى فى أمريكا ليطلق رصاصة قاتلة على مهندس معمارى مشهور لاعتقاده أنه أغوى زوجته.

تحدث جرائم كثيرة عندما يمل أحد الزوجين الآخر أو العشيقين من الطرف الآخر أو عندما يتآمر العشيق والزوجة على التخلص من الزوج كما فى قصة «روث سيندر وجود جراى» وغيرها.. ويبقى السؤال الذى يطرح نفسه فى مثل هذه الحالات مثار جدل قانونى: ترى أتقع تبعة الجريمة على اليد التى اقترفتها أم يتساوى الطرفان بالذنب ؟

تتفجر العواطف أحيانا رغبة بالانتقام لظلم وقع فتع الجريمة وهذا ما

حدث للملازم «ماسى» عندما ينفذ القانون بيده ويقتص من مغتصب زوجته وقد تثور العاطفة من ألم الشعور بالرفض مثل «مارى دى موريل» التى خططت لاتهام شاب يعمل ضابطا باغتصابها . كل جرائم العشاق ترتكب بلا تخطيط محكم ولا يحكم فيها العقل لذلك نجد أن معظم من يرتكب هذه الجرائم يندفع بسرعة ويعترف بجريمته يتسامح الفرنسيون مع جرائمهم العاطفية فى أحكامهم القانونية بدافع من تفهمهم الفطرى لردود فعل الحب العنيفة عندما تستثار وإذا دققنا النظر فى هذه الجرائم وجدنا أن المرأة هى المحور الأول لها وهى الدافع الحقيقى خلف كل جريمة خاصة إذا كانت امرأة جميلة . دعوة لقراءة هذه الجرائم وكم كانت النهاية مفجعة وحزينة وخلف القضبان .



الفصل الأول



الغيــرة

الغيرة

المنظر.. فى حديقة ساحة ماديسون لافتتاح حفلة موسيقية جديدة بعنوان « شمبانيا مامزيل » لم يسر العرض كما كان مرسوما له حيث صعد كل شخص منضدة بدلاً من الكراسى التقليدية فى جو مثير من البهجة والهرج والمرج وفجأة دوى صوت إطلاق رصاص وشخصت الأبصار كلها إلى « ستانفورد وايت » من بين اثنين وخمسين مهندساً معماريا أمريكيا وقد انزلقت كوعه ببطء عن المنضدة التى كان يجلس عليها بمفرده وبين رنين الكئوس المحطمة سقط على الأرض بعد أن أستقرت رصاصة فى رأسه واثنتان فى كتفه الأيسر..

وقف « هارى كيندال ثاو » فوق الجثة ثابت الأعصاب وبيده مسدس ينبعث الدخان من فوهته وهو الإبن المستهتر الذى يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً لصاحب منجم فحم وسكه حديد فى « بطسبرج ».

خيم الصمت دقيقة على المكان ثم شق « ثاد » طريقه والمسدس فوق رأسه إلى خارج الحديقة ليلتحق بزوجته « إيفلين » واثنين من المدعوين.

تأهب الجميع للمغادرة قبل الحادث بدقائق بناء على رغبة إيفيلين فقد كان العرض مملاً جداً حتى إنها وصلت إلى المصعد مع المدعوين قبل أن

تتأكد من زوجها معهم وعندما علا صوت الطلقات تساءلت بحيرة وارتباك وهى ترى « ثاو » ينضم إليهم والمسدس فوق رأسه « يا إلهى ماذا فعلت ياهارى؟ » .

بينما تعالى صراخ النسوة من الحديقة وهن يحاولن الخروج منها . جاهد المدير لإعادة النظام فقفز فوق منضدة وصاح : استمروا بالعزف احضروا جوقة المغنين » .

أما فى الخارج فى ردهة المصعد فقد قام رجل إطفاء بتجريد « ثاو » من سلاحه دون مقاومة تذكر ثم جاءت الشرطة واعتقلته أخذ « ثاو » إلى أقرب مركز شرطة فى « تيندر لورين » وهى مقاطعة مشهورة بالبغاء والخروج على القانون والابتزاز قدم « ثاو » نفسه على أنه « جون سميث » طالب من فيلادلفيا ساحة لا فايبل إلى أنهم وجودا بطاقة عن اسمه الحقيقى .

سأله ضابط الشرطة لِمَ فعلت ذلك؟ أجاب ثاو باقتضاب : لا أستطيع الإجابة .

وتبعه العديد من المراسلين لكن « ثاو » تشاور مع محاميه ورفض أن ينطق بكلمة واحدة .

كان الحدث ليلة الخامس والعشرين من عام ١٩٠٦ واليوم التالى تصدر الخبر الصفحات الأولى من صحف الولايات المتحدة كلها كتبت صحيفة « النيويورك تايمز » للإثارة « ثاو يقتل ستانفورد وايت » . أطلق « ثاو » الرصاص عليه عندما كان على سطح حديقة ساحة ماديسون .

وعن إيفيلين

لقد صرخ فيها : دمرت حياتى »



هرج ومرج

أخذ الجمهور يتدافع بشكل وحشى يلتمس مخرجًا وانقلب المكان رأسًا على عقب بمقاعده ومناضده كانت شخصية «ستانفور» عالمية فهو رجل كبير أحمرالشعر والشارب وقد كرم نظرا لنفوذه الكبير وباعه الطويل فى تحسين مدينة «نيويورك» فى القرن التاسع عشر وخصوصاً حديقة ماديسون ومدرجها المستخدم لعروض الأحصنة وتوزيع جوائز الملاكمات كما أن مسرح مدينة نيويورك وحديقة السطح والمطعم والمحلات ذات القناطر الأنيقة كلها كانت من ابتكاره وحده إلى جانب القوس التذكارى فى ساحة واشنطن أما الجانب الآخر لشخصية المهندس المجد فقد استمتع بالاختلاف إلى الدوائر المسرحية والبوهيمية وعلى كونه متزوجا فكثيرا ما كان يتردد على حفلات الأنس ليمتع ناظريه برؤية الفتيات الجميلات.

وفى الواقع فقد وعده مدير المسرح بتقديمه لفرقة فتيات الكورس التى استحوذت على إعجابه مما دعاه للجلوس خلال حفلة «شمبانيا المافزيل» المملة.

بالنسبة للقاتل «ثاو» فإن حياته جملة من المغامرات الطائشة الفاضحة لقد كرس حياته خلال فترة وجيزة فى «هارفارد» لدراسة أهم خطوات لعبة البوكر وحاول فيما بعد أن يمتطى حصانا فى أحد نوادى نيويورك التى منعته من ذلك كما ركب سيارة فى حلبة استعراض وخسر ٤٠ ألف دولار فى لعبة بوكر واحدة أقام حفلاً فى باريس كان كل مدعويه من عاهرات العاصمة الباريسية وقد ندهش حين نعرف أن والده قد ترك له بعد وفاته دخلاً قدره ٢٠٠ زولا شهرياً إلى حين يثبت فيه جدارته على إدارة نصيبه

البالغ ٥ ملايين دولار من أصل أملاك بقيمة ٤٠ مليون دولار وكان لأمه السيدة « ويليام ثاو » دور كبير فى مساعدته على استئنا ف حياة الصعلكة التى يستمتع بها برفع حصته إلى مبلغ ٨٠ أف دولار سنويا.

وكما هو متوقع فإن الجنس وراء الصدام المأساوى بين « وايت وثاو » فزوجه ثاو كانت آية فى الجمال تخرجت من فرقة الكورال التابعة لفرقة الـ « فلورادورا » المشهورة إنها من إحدى الجميلات اللائى يسألن « أخبرينى أيتها الحسناء هل هناك المزيد من أمثالك فى البيت؟ لها وجه بيضوى تزينه خصل حمراء مجعدة وعينان عسليتان وفم مغرٍ وجسم فاتن.

وعلى فتنتها الطاغية ـ وربما بسبب ذلك فقد أغراها وايت عندما كانت فى السادسة عشرة فقط أما « ثاو » فقد تزوجها عام ١٩٠٥ قبل الحادث بسنة وشهرين وهى فى العشرين من العمر.

تتابعت الأحداث بعد حادث القتل كما فى الميلودراما التقليدية فوايت رجل يوقع بالفتيات وثاو الفارس الشهم المنتقم الذى يكتم عار زوجته طويلا ثم يقتل فى نوبة جنون ـ الرجل الذى أغواها وإيفيلين البريئة الصغيرة دفعت إلى حياة العار من قبل رجل فى عمر والدها تقف الآن بإخلاص إلى جانب الرجل الذى جعل منها امرأة شريفه ـ.

وكانت لسيدة ثاو التى تزور ابنتها فى انجلترا قد صرحت بعزمها على العودة إلى الولايات المتحدة لتقف بجانب ابنها ولو كلفها ذلك مليون دولار لانقاذه.

لم تبدأ محاكمة « ثاو » حيث ١٢ كانون الثانى من عام ١٩٠٧ خلال الأشهر السبعة الفاصلة كانت الصحف تنال من شخصية وايت وتشهر به ولا يغيب عن بالنا تمييزها العنصرى للأمريكى الموجود فى المجتمع الراقى.

وهناك الكثير من الروايات حول مغامراته الغرامية نصفها صحيح، فقد كان ذا سلوك سيء ومفضوح مع النساء والفتيات المراهقات فى نيويورك. وأفضل مثال على ذلك قصة عارضة الأزياء ذات الخمسة عشرربيعاً واسمها «سوزى جونسون» جذبت إليها الأنظار فى الحفلة البوهيمية التى حضرها وايت «لقد أعجب بها كثيراً وروت الصحف أنه بدأ بتقديم الشمبانيا لها وعندما ثملت وترنحت أخذها إلى شقته المؤثثة بالروائع الشرقية وأغواها ثم رماها على باب شقته حقيرة وحيدة بعد اعتدائه عليها.. وكان آخر ما تفوهت به سوزى قبل موتها ولم تتجاوز الثالثة والعشرين ربيعا «أيتها الفتيات الفقيرات أبقين فى معمل آمن أو مطبخ» وقد دفنت فى مقبرة الفقراء.

قاد حملة التشهير تلك وكيل دعاية مستأجر من قبل والدة ثاو ودعمتها الصحافة المعنية بالفضائح الاجتماعية.

الفتيات والأرجوحة

يبدو أن جزءاً من رواية إغواء سوزى قد تم أخذه عن الأحداث التى مرت بها إيفيلين والتى ستدعم روايتها فى المحكمة.

قابلت إيفلين وايت لأول مرة فى صيف ١٩٠١ عندما كانت فى السادسة عشرة من عمرها فقد اصطحبتها صديقتها لتناول الغذاء فى شقه المهندس. كان فى الشقة رجل آخر غادر المكان بعد انتهاء وجبته ثم أخذ وايت الفتاتين إلى الطابق العلوى إلى غرفة فيهاأرجوحة حمراء مخملية وأرجح الفتاتين تباعاً إلى أعلى السقف.

لم يقطع «وايت» بعد ذلك باكتشافه الجديد فقابل والدة إيفيلين وأرسل

لها قبعة ومعطفا من الريش كان يتصرف بلباقة شديدة خلال هذه الفترة قالت «إيفيلين» لم يدعنى أتناول إلا كأسًا واحدة من الشمبانيا فى العشاء وقال إن علىّ ألا أتأخر ثم أخذنى بنفسه إلى الفندق حيث نقيم ثم جاء اليوم الذى قررت فيه والدة إيفيلين زيارة أصدقائها فى بطسبرج ولكنها لم تحب أن تترك ابنتها وحيدة فى مدينة نيويورك وما أن تناهى إلى سمع دوايت ذلك الخبر حتى شرع يعرض خدماته عليها ويقول: بإمكانك تركها معى بأمان كامل سوف أعتنى بها وحمل إيفلين بوعد أمها على عدم الذهاب مع أحد سواه أثناء غيابها.

مرايا حول السرير

تكفل «دوايت» بدفع تكاليف سفر والدتها وفى الليلة التالية أرسل لها بطاقة وطلب منها حضور حفلة فى شقته وعندما وصلت إيفيلين إلى الشقة كانا وحدهما فقال وايت متعللا: لقد رفض الجميع دعوتى وعرض عليها تناول شىء ما ثم طاف بها الغرف التى لم ترها فى زيارتها السابقة وفى الطابق العلوى فى غرفة صغيرة صب لها كأسا من الشمبانيا وقالت إيفيلين معلقة: «لم أدر إذا مرت دقيقة أو أكثر على الشراب حينما أخذت أسمع قرعًا شديداً فى أذنى وبدأت الغرفة تدور. عندما استعادت وعيها كانت ترقد فى سرير تحيط به المرايا وقالت: «بدأت بالصراخ وحاول (وايت) تهدئتى ولا أذكر كيف لبست ثيابى أو كيف ذهبت للمنزل لكنه أوصلنى وذهب جلست مسهدة طوال الليل اتصل «دوايت» فى اليوم التالى فوجدنى ما أزال جالسة على الكرسى محدقة بالنافذة سألنى لِمَ لا تنظرين إلىّ يا

صغيرتى؟ أجبت لا أستطيع ثم أخبرنى أن الجميل يفعل مثل هذه الأشياء سألته فيم إذا كانت فرقة «فلور ادورا» حيث أعمل والناس الآخرون يمارسون الحب؟ فقال جميعهم يفعلون ذلك وأضاف أن أهم شيء ألا يهتك الستار عنه وأن يبقى الأمر سرا عن والدتى على كل هذه لم يفلح الفارس المنتقم «ثاو» من العقاب وقبل المحاكمة اكتشف مراسل صحفى دعوى أقامتها فتاة تدعى «إثل» ضد «ثاو» عام ١٩٠٢ جاء فيها أن «ثاو» أغدق عليها فى بداية علاقتهما الهدايا والأزهار والمجوهرات وقالت: «إلا أنه وذات يوم كنا نمشى باتجاه شقته فى بيد فورد توقف أمام مخزن واشترى سوطا للكلاب وعندما سألته عن سبب شرائه إياه أجاب ضاحكا «إنه لك يا عزيزتى». ظننته يمزح ولكن ما إن أغلقنا باب الشقة حتى تغير سلوكه تماما وظهر فى عينيه تعبير وحشى فأوثقنى بحبل وأنهال علىّ ضربا بالسوط حتى تمزقت ثيابى»

قالت إيفيلين إنها تعرضت لتجربة مماثلة أيضاً فى رحلتها إلى أوربا معه وعانت الكثير على يديه حتى إنها ذهبت إلى محام مشهور بأساليبه المشهورة يدعى «إيب هاميل» وأقسمت بشهادة خطية حول طريقه «ثاو» فى التعامل معها. بدأت المشكلة عندما كانا يقيمان فى «شلوس كاتز ينستين» فى قلعة استأجرها «ثاو».

وذات صباح نزلت لتناول طعام الفطور مرتدية ثياب الحمام ورافقها «ثاو» بعد الوجبة إلى غرفة النوم ثم أمسك ودون إثارة مسبقة بحنجرتها ومزق ثوب الحمام عن جسدها كانت عيناه تسطعان وفى يده سوط مجدول من جلد البقر رماها بقوة على السرير ثم أخذ يضربها بالسوط بعنف.

قالت إيفيلين: «لقد هاجمنى بقوة حتى أن جلدى تمزق فتوسلت إليه

أن يكف لكنه رفض تعبت وصرخت وبكيت ولكن دون جدوى كان يتوقف دقيقة ليرتاح ثم يعاود الكرة فكان تصرفه تصرف رجل مخبول مدة سبع دقائق خشيت خلالها على حياتى وقد استغرق شفائى حوالى ثلاثة أسابيع لا أبرح فيها الفراش وفى المرات جميعها التى سافرت فيها مع « ثاو » كان يختلق ذريعة لتسويغ أى هجوم ضدى وكان يرتمى على سريرى دون موافقتى ويعتدى علىّ كثيراً وبخته على تصرفه البهيمى هذا ولكنه أجبرنى على الاستسلام مهدداً بقتلى.

ثم اكتشفت أن « ثاو » كان مدمن كوكايين وإن تساءل الناس عن زواجها برجل يتصف بمثل هذا السلوك السيء فالدافع بين واضح الرغبة بالغنى والمركز.

بدأت المحاكمة فى ديسمبر ١٩٠٧ ولم تنته حتى ١١ إبريل أعلنت هيئة المحلفين أنهم غير قادرين على الوصول لحكم عادل بينما احتشد حشد من الفضوليين يقدر بعشرة آلاف شخص تحت نوافذ غرفة المحاكمة أثناء التصويت النهائى عُلِم أن سبعة من أعضاء هيئة المحلفين صوتوا بتجريم « ثاو » بجريمة من الدرجة الأولى وصوت خمسة منهم على تبرئته نظراً لمس الجنون الذى فيه وحفظ « ثاو » بالحجز القضائى حتى المحاكمة الثانية.

بدأت المحاكمة الثانية فى ديسمبر عام ١٩٠٨ وانتهت فى الأول من فبراير أعلنت فيها هيئة المحلفين بعد اجتماع دام أربع وعشرين ساعة أن تاو » غير مذنب بسبب جنونه وأحيل إلى مستشفى المجاذيب فى ولاية نيويورك.

الهرب بسيارة الليموزين

كانت محاولات محاميه لإطلاق سراحه طويله وغير مجدية وفى السابع عشر من أغسطس عام ١٩١٣ خرج « ثاو » من المستشفى بمساعدة سيارة ليموزين كانت بانتظاره خارج البوابة ثم التمس اللجوء إلى كندا وفى الشهر التالى وتحت الضغط الثقيل من الحكومة الأمريكية وافق وزير العدل الكندى على إعادته إلى الولايات المتحدة ووضع فى سجن فى كوز كورد فى هامشير الجديدة.

ناضل « ثاو » طويلا لاعادته إلى نيويورك وبعد عام قررت المحكمة العليا إعادته إلى نيويورك . واجه « ثاو » محاكمة طويلة وأخيرا فى يوليو عام ١٩١٥ صرح بأنه مجنون وغير مذنب بأية تهمة كان نصراً واضحاً للمال ضد العدالة.

اتهم بعد ذلك بعام ونصف بخطف فتاة تدعى فريدريك تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً وضربها أيضاً بالسوط وقد كانت من مدينة كنساس وصُرح مرة أخرى بعدم جنون « ثاو » إلا أن الحكم قلب بعد أسبوع من المداولات تناقلت الصحف فى عناوينها الرئيسية أنباء جرائمه الدورية حتى موته عام ١٩٤٧ عن عمر يناهز السابعه والستين إثر نوبة قلبية وبدا فى صورته آنذاك كرجل أعمال منكمش متقاعد أكثر من كمجنوى سادى.



الفصل الثانى



إمرأة متسلطة

إمرأة متسلطة

كانت قصة تحوى كلمات غرام زائفة ومألوفه كالتى تقال بين العاشقين.

« روث » سيدة قوية تسلطت على رجل مسكين هو جراى عشقا بعضهما وماتا معًا.. عندما كشفت روث عن حقارة نفسيتها ودناءة طباعها كانت امرأة تريد عبداً وكان هو يريد أما فالتقى معًا بأقدارٍ حزينه..

كان رجلاً عاديا يحمل سمات الطيبة يرتدى نظارة ذات إطار معدنى يبدو أن نظره ضعيفاً هو مجرد بائع جوال لا يتعدى مكسبه بضعة دولارات فى اليوم دلف إلى أحد الفنادق فى أحد الأحياء المتهالكة أعطى الموظف



هويته ثم صعد إلى الدور الثانى وساقه القدر المشؤوم إلى أن تراه السيدة « روث » وتعتقد بمرآه الحب العمياء أنه كل ما تبحث عنه فى الحياة والزواج وهو أيضاً وجد نفسه أسيرا لها وللأبد وكأنهما ارتبطا برباط وثيق لن تحل عراة..

كانت الليلة صيفيه حارة ونسى جراى و « روث » كل العالم وانشغلا بحالة الحب التى سيطرت عليهما واجترار قصص اليأس والحزن فى زواج كل منهما بافتقارهما الشريك المحبب الأثير لديه وعيشهما فى جو مفعم بالمرارة والقلق خال من الحب والتفاهم والاحترام، عبرت « روث » بشعرها الأحمر المعقوص عن معاناتها بطريقة مؤثرة كان لها أثر ملحوظ على بائع مشدات الخصر النسائية وقد تدلى على كتفيها فرو الثعلب وسمع صوتا للحلى المرصعة فى يديها حتى وصلت إلى رسغها.. كانت فى الثلاثين من عمرها من أصل سويدى تنظر لنفسها على أنها ضحية « ألبرت سنيدر » ذلك الرجل الذى يكبرها بعشرة أعوام استغل شبابها وبراءتها وسذاجتها ودفعها لزواج لم تكن ترغب فيه على الإطلاق.. قالت لجراى « إنه رجل خسيس لقد دعانى إلى الغذاء والرقص وعندما لم أرضخ لرغبته اعتراه الغضب والحدة وكنت فتاة محترمة ولهذا فقد اضطر لتغيير أسلوبه معى فاشترى لى علبه مملوءة بالشكولاته وبداخلها خاتم من الماس تخيل ذلك كنت ما أزال فى التاسعة عشرة وأصغره بثلاثة عشر عاماً كان له عمل جيد وقد كنت ضعيفة يوم زفافنا لدرجة لم أتمكن من تلبية رغبته تلك الليلة

رجل هادىء وشريف

كان جراى يستمع إليها وهو يشعر بأنه يشاهد أحد المسرحيات بزيف كلماتها لابد أن « روث » لما كانت فى التاسعة عشرة من عمرها فتاة ممتلئة الجسم لم تبد فكرة إرغامها على الزواج مقنعة كان « ألبرت سيندر » المرح ذو الشعر المجعد والبشرة التى تلوح لونها من رحلات الصيد البعيدة التى كان يخرج إياها . كان من النوع اللطيف البعيد كل البعد عن العنف والتسلط خاصة مع فتاة ذات خبرة تدعى بالتزامها الدينى وخوفها من الله بالإضافة إلى محافظتها على عذريتها وقد وصفه المحرر والناشر « س.ف- تشابان » فيما بعد بعد مقتله إنه رجل هادىء شريف يؤدى دوره فى الحياة كما هو مرسوم له دون تمرد إن عالمنا يضم الكثير من الرجال الصامتين الشجعان الطيبين أمثاله .

لم يعر جراى هذا الحديث أى اهتمام ومضى الوقت ثقيلاً بطيئاً وبالموازنة مع وضع « روث » العائلى الذى تتأرجح فيه العلاقة بين المشاجرات العاصفة والهدوء البارد المميت فإن وضع « جراى » العائلى كان هادئا مملاً فزوجته « إيزابيل » تحب العزلة فلم يشاهدها أحد أو يسمعها لدرجة أطلق عليها بعض رفاق جراى « المرأة الخفية » وظن بعضهم الآخر بعدم وجود زوجة له على الإطلاق .

قال جراى وهو على كرسى الموت يمكننى أن أطلق على « إيزابيل » فتاة البيت فهى لم تعر اهتمامها لأى شىء سوى الطبخ والعناية بالمنزل . ولهذا كله لم أتمكن من أن تكون بيننا علاقة قوية أو ثمة حب أو عواطف تجمع بيننا .

استغرق « جراى » و « دوث سنيدر » أربع ساعات لتبادل ذكرياتهما الزوجية ثم افترقا بعد ذلك على أمل اللقاء مرة أخرى بعد عودة « ألبرت » وروث وابنتهما ذات السبعة أعوام من الإجازة فى جزيرة شيلتر .

طيش وحماقات

اتصل « جراى » بروث بعد عودتها ودعاها إلى الغداء ثم ذهب بها إلى مكتبه فى شركة للملابس الداخلية وتوالت اللقاءات فى مكتب نائى تجمعهما حرارةالحب حتى مارس ١٩٢٧ عندما قبض عليهما وتقوقع كل منهما على الآخر كالفئران الخائفة لم يكن طيشهما يذهب بعيداً فغالباً ما يقضيان الليل أو شطرا منه فى غرفة فى فندق مانهاتان يتبادلان حديث الحب وخلال هذه المرحلة أخبرت « روث » « جراى » عن سلسلة « الحوادث » الغريبة التى وقعت لزوجها منذ صيف ١٩٢٥ عندما تقابلا للمرة الأولى.

جرت الحادثة الأولى عندما كان « سنيد » يقود سيارته وأفلتت منه عجلة القيادة مما أدى إى اختلاف السيارة وكاد أنْ يموت وبعد أيام أخرى حالفه سوء الحظ فاصطدم رأسه بقوة فى أحد البراميل ووقع مغمى عليه. ولم يقف النحس عند هذا الحد ففى نهاية ذلك الشهر كاد أن يموت مختنقا فى الحمام إثر إنطفاء الموقد وتسرب غاز البوتاجاز.

روث اليائسه

لم تجعل هذهالحوادث « ألبرت سنيدر » يرتاب إلا أن جراى عندما فكر فيها وجد أنها تستحق الشك وسألها مستفسراً « ما الذى كنت تريدين فعله أهو قتل المسكين؟ ترددت لحظة ثم أجابت حبيبتك لا تستطيع القيام بهذا وحدها دون مساعدة رجلها الحبيب.

لم يأخذ جراى كلام روث محمل الجد ولكنه اكتشف جديتها حينما التقيا مرة ثانية وأكدت له أن أمورهما المادية سوف تكون جيدة لأن

زوجها أمن على نفسه بمبلغ ٩٦ ألف دولار فإذا مات فى حادث مثلاً.. هنا فهم جراى أن « روث » تدبر حادث ما لزوجها وفى هذه الأثناء أعطته روث جرعة من الزئبق بعدها مرض مرضاً شديداً وقد بررت تعليلها لهذا المرض تخليصة من نوبة فواق وظل سنيدر على قيد الحياة بأعجوبة على تلك المحاولات جميعها وبعد أن يئست روث فى محاولاتها السابقة تلك صممت فى محاولتها الأخيرة أن تنتصر وتتمكن من القضاء على زوجها « ألبر » مهما كان الثمن فحبكت قصة من وحى خيالها وأطلقت شائعة مفادهاأن زوجها اشترى مسدس وراح يهددها بإطلاق النار عليها. ووعدت جراى بحياة كلها سعادة ونعيم وأموال بعد أن يموت زوجها.

وفى ليلة من ليالى الشتاء الباردة أعطت روث تعليماتها إلى « جراى » ليشترى لها مادة (الكلورفورم) المخدر حينما كان مسافراً خارج البلاد وأن يشترى إطارات وحاملاً للصورة وبهذه الطريقه تكون امتلكت ثلاث وسائل لتقله. ولابد من نجاح إحداها.. حاول « جراى » أن يبد اعتراضه لكنها هددته بقطع علاقتها معه إذا لم يرضخ لتنفيذ مطالبها وأوامرها التى تصدرها.

لم يكن أمامه سوى الموافقة على ما خططت له ودبرت من أجله وعليه أن ينقاد لتنفيذ الخطة التى أحكمتها فى شيطان رأسها.

الليلة موعدنا

التقت روث بجراى فى إحدى الحفلات بعد أن تركت باب بيتها مفتوحًا ليتسلل إليه جراى.

كان الليل قد جاوز منتصفه عندما عادت روث وزوجها وإبنتها من

الحفله بعد أن رقصوا وشربوا.. وتظاهروا بأنهم فى منتهى السعادة . دقت الساعة الثانية صباحًا.. كان جراى مختبئا فى غرفة نوم مهجورة فى الطابق العلوى وقد أحضر الكلوروفورم وحامل الإطار والحبل الذى خبأه تحت وسادة السرير وأخذ يتناول جرعات كبيرة من الشراب ويتأكد من وجود المنديل الأزرق والصحيفة الإيطالية التى اشتراها كدليل زائف لم يكن « جراى » هو الشخص الوحيد الذى ثمل من كثرة الشراب فقد ثمل أيضاً « سنيدر » أكثر من المعتاد من الكحول فما كان منه إلا أن وضع سيارته بعيدا وتجاذب حديثا سريعاً مع زوجته فى الصالة واستسلم لنوم عميق فى غرفة نومه نظراً لفقده السيطرة على نفسه.

تسللت روث عبر القاعة وانضمت إلى عشيقها وسألته هل أحضر حامل اللوحة معه أم لا؟ فطلبت منه أن يلوذ بالهدوء بعد أن أخبرها أنه أحضرها.

مداولات.. هامسة

غادرت روث غرفة النوم الأساسية بعد مضى نصف ساعة وذهبت تتهامس مع جراى ولما حانت الساعة الثالثة صباحًا كان على أهبة الاستعداد للتحرك خاصة وأن السكون يلف المكان.. وقد كان « ألبرت » ثقيل السمع أصلاً وليس من المعقول أن يصل إليه تهامسهما واستمرت روث فى إصدار أوامرها وهى تقود « جراى » من يده إلى غرفة النوم البعيدة.. قائلة هنا سيتم كل شىء. كان جراى مستعداً ويرتدى قفازاً طبياً حتى لا يترك بصمات على حامل الإطار بينما كانت تحمل الكلوروفورم والسلك والمنديل وبعض القطن الطبى.

دخلت روث الحجرة وتبعها جراى.. وهنا رأى « جراى » ألبرت سنيدر للمرة الأولى والأخيرة منافسة الذى أمرته بقتله لقد فوجيء بوجودك فى المكان وقبل أن تهم روث بالكلام كان جراى يهم بإطار اللوحة على رأس سيندر..

كانت الضربة قويه لكنها كانت غير كافية فاستيقظ من نومه وهب يدافع عن نفسه دافعا جراى بيديه لكنه هوى عليه ثانية بالإطار على جمجمة « سيندر » فتضرج بالدماء فما كان من الرجل المصاب إلا أن أمسك برابطة عنق جراى فسقط الإطار على الأرض وصاح سيندر « ساعدينى يا روث » ولم يشعر بنفسه إلا وزوجته ترفع الإطار الملقى على الأرض وتهوى به على أم رأسه بساعديها القويتين وللغرابة كان سيندر لايزال حيا فاضطر جراى لأن يضع قطن مبتلة بالكوروفورم فى فمه وتم تقييد يديه وقدميه بالسلك وتناثر الدم فى كل مكان وكان أثره على قميص نوم « روث » وعلى ثياب القتيل.

إغتسلت « روث » و « جراى » من آثار الدم وبدلاً ملابسهما وارتدى جراى أحد قمصان سنيدر النظيفة وخبأ إطار اللوحة بينما أسرعت روث باخفاء مجوهراتها والفرو الذى كانت تمتلكه كما بعثرت أثاث الغرفة هنا وهناك ليبدو الحادث طبيعيا بمداهمة أحد اللصوص للمكان وبعدها قام « جراى » بتقييد عشيقته ووضع قطعة من قماش على فمها وتركها على الأرض وبجانبها الصحيفة الإيطالية تأهب للرحيل واستدار نحو « روث » وهو يغادر المكان ناظراً إليها باشمئزاز وقال « قد يمر شهر أو عام أو إلى الأبد حتى ترينى مرة أخرى وتحقق الكلام ولم يقابلها مرة أخرى وللأبد .

ما بعد الجريمة

في يوم من أيام مارس أطل الفجر بأشعته اللطيفة على قرية كوينس كانت الإبنة «لوراين سيندر» مرهقه من السهر فى الليله السابقة وكانت ستنام بعمق إلا أنها سمعت دقات قوية عند باب الغرفة أثارت حيرتها فنادت على أمها وأبيها قفزت من سريرها وركضت حافية القدمين عندما لم يجبهاأحد وفتحت الباب فألقت والدتها ملقاة على أرض الردهة وقد تم تكميمها وتقييدها.. صرخت لوراين وفكت وثاق أ مها التى صاحت بها لإحضار النجدة وبعد دقائق كانت «روث» تروى، قصتها للجيران وصاحت بطريقة هستيرية كان شيئاً رهيباً ومفزعاً.. لقد هجم علينا قاطع طريق فقيدنى ليسرق المجوهرات ولكن هل زوجى بخير أين هو؟

توجه الجيران نحو غرفة النوم الرئيسية وعادوا بأنباء سيئة تؤكد مقتله.

كررت السيدة «روث» قصتها المفتعلة عن مهاجمتها من قبل رجل ضخم عنيف يناهز الخامسة والثلاثين ذى شارب أسود وسوالب طويلة مؤكده أنه إيطالى.

سردت هذه القصة أمام الدكتور«هانش» الذى تم استدعاؤه لمعاينة الجثة وتأكد من اختلاق تفاصيل جريمة بعد قيامه بفحص «روث» بحثاً عن أى أثر من آثار الإغتصاب ولم يجد شيئاً كما شاركه الرأى مدير الشرطة «جورج مكلالين» واستغرق استجوابها إثنتى عشرة ساعة من قبل المفتش آرثر كارى».

أثارت الفوضى التى بعثرت بها غرف النوم فى الطابق الأرضى شكوكهم فى البداية فعلق قائلاً: لا يبدو هذا من عمل قاطع طرق محترف. نظرت

روث إليه بازدراء قائلة . . ماذا تقصد ؟

فأشار إلى الكراسى المقلوبة والوسائد وقال « لا تبدو معقولة؟ كثيراً ما رأيت أعمال سلب كثيرة لكنها لم تكن بهذه الطريقة ولم يصحبها جريمة قتل وسرعان ما كشف تفتيش المنزل النقاب عن وجود خواتم روث وعقودها مخبأة فى الفراش ومعطفها الفرو معلقا فى الخزانة وهنا لم يعد هناك شك بأن الحادث مدبر بعد مراجعة دفاتر العناوين الذى يحوى على ثمان وعشرين إسماً من بينهم اسم « جود جراى » وبعد اكتشاف شيك بـ ٢٠٠ دولار ملغى باسم « جراى » سيقت « روث » إلى مركز الشرطة حيث حبكت خطةج لاستدراج روث لتدلى باعتراف جزئى بعد أن ذكر لها أن جراى قد اعترف بكل شيء بعد إلقاء القبض عليه فما كان منها إلا أن اعترفت بإقدامها على قتل زوجها بمساعدة بائع الملابس الداخلية ثم اردفت قائلة . . . لكننى لم ألحق أى أذى بزوجى فقد ارتكب جراى الجريمة كلها وحاولت إيقافه فى اللحظة الأخيرة لكن بعد فوات الأوان .

دلائل وبراهين

وجد بالتحريات إطار اللوحة الملطخة بالدماء ملقى فى القبو كما عثروا على وثيقة التأمين التى تجعل من « سنيدر » ثريا بعد موته وجاءت الخطوة التالية بناء على المعلومات التى أدلت بها « روث » بإلقاء القبض على المذعور « جراى » فى الفندق صرح الرجال الذين أحضروه إلى نيويورك بأن « سنيدر » لم يمت فى الواقع متأثرا بالجروح الموجودة فى رأسه بل أغمى عليه من التحذير ثم اختنق نتيجة ذلك .

أخذ جراى بعد ذلك إلى مركز الشرطة وعندما تمت مواجهته بالتهم

الموجهة ضده أظهر شجاعة أكبر من سيدته المسيطرة واعترف طوعًا بدوره فى مقتل « سيندر » لكنه لم يحاول التغطية على « روث » بل أعاد إلى مسامعهم كل ما قالته أو فعلته فى البيت وختم كلامه لم أكن أجرؤ على قتل سنيدر لولا خطة وتدبير وتحريض « روث » إنها امرأة متسلطة وقوية وكذلك كان على أن أنفذ كل تعليماتها بدقة.

اللعوب.. القاتلة

كان جراى المغفل نموذجاً لما فعلته تلك المرأة اللعوب كانت عاطفية إلى جانب أنها كانت قاسية القلب حيث منحت قلبها لجراى واجرامها على سيندر وحكم عليها الموت على الكرسى الكهربى فى سنج سنج عام ١٩٢٨.

وقد دونا كل من روث وجراى مذكراتهما وتم إعدامهما بفارق زمنى لم يتجاوز أربع دقائق فقط وبذلك نالا جزاء ما اقترفته أيديهما فى الدنيا قبل وصولهما إلى دار الحق حيث الخلود فإما نعيم أبدا وإما شقاء أبداً.





الفصل الثالث



الضحية البريئة

الضحية البريئة

استيقظت ولاية جورجيا الانجليزية بعد أن وجدت جسد شبه عار متفسخا فى حفرة سطحية ملفوفاً بغطاء يشبه الكفن والجسد لم يكن إلا لضحية بريئة هى ماريا مارتن التى شوهت على يد إقطاعى عتيد الإجرام والقذارة، كانت بالطبع نهايته الاعدام والصلب على أعواد المشانق وقد تم تعليب جمجمة الجسد بعد تنفيذ حكم الاعدام به واستخدم جلده فى تجليد الكتاب المصور إلى يسار المسدس المستخدم فى قتل ماريا ولكن كيف يرى المحللون هذه الجريمة هل هى نذالة أم مجرد دافع إنسانى أدى إلى القتل؟

البداية

أفاق السيد توماس «عامل المزرعة» على صرخات زوجته السيدة «آن مارتن» فى كوخها القابع شرقى انجلترا وظلت هذه الصرخات مطبوعة فى ذاكرته إلى الأبد انتحبت السيدة متوسطة العمر «حلمت بابنتنا ماريا» بذل زوجها توماس ما بوسعه لتهدئتها .. استطردت قائلة: حلمت أنها قتلت ودفنت تحت الجانب الأيمن من مخزن الحبوب الحمراء.

كان توماس رجلاً واقعياً لا يهوى الخيالات ولو لمرة واحدة طوال حياته.. وقام على فوره وأحضر لها شرابا ساخنا لتهدئتها .

نامت السيدة «آن» بقية ليلتها هذه إلا أنها كانت تستيقظ كل ليلة مذعورة لمدة أسبوع تهز زوجها مرغمة إياه على الاستيقاظ وترجوه أن يذهب إلى المخزن الأحمر وينظر هناك إذا كانت الأرض محفورة وجسد ابنتها هناك نهض «توماس» إلى النافذة الصغيرة لغرفتهما ولاح له فى البعد هناك مخزن كوردر الأحمر وكان قد مر عام على ذهاب ابنتهما مع ابن كوردر «وليم» وانقطعت أخبارها.

وسأل نفسه هل حدث لابنته شيء فظيع أم أنه اليأس الذى استولى على زوجته وكاد يدفعها إلى حافة الجنون. لذلك عقد «توماس» العزم بعد بضعة أيام على حسم هذا الأمر فلن يهدأ لزوجته بال ما لم يذهب إلى مخزن وردر وينظر بنفسه وتخيلته أن يفعل ذلك خفية وإلا عرف أهل القرية بجنون زوجته.

رومانسية ورعب

كان بيت توماس يقع غير بعيد عن المزرعة وكان بيتاً ريفياً مبنى من الأبيض والأسود بالقرب من البركة تتناثر حوله الأبنية ومن بينها مخزن حبوب متميز يتوهج حين تسطع أشعة الشمس عليه بين مروج خضراء فى مزرعة « كوردر » بلونه الأحمر بسبب تراكم التبن من حوله فيبدو منظرا رومانسيا رائعا ومثيراً للخوف والاكتئاب تعلل توماس لوكيل المزرعة بأنه يريد الدخول إلى المخزن فربما أن ابنته قد تركت بعض ثيابها هناك يوم ذهبت مع « وليم كوردر » وعندما فتح وكيل المزرعة الباب اتجه « توماس » من فوره إلى القسم الأيمن ممسكا بعصا يجس بها التبن هنا وهناك وما هى إلا لحظات حتى غاصت العصا فى تراب ناعم قال « توماس » لابد أن شيئاً ما دفن هنا سأحضر « ودفع بأداة تنقيب فى الأرض.. واصطدمت الأداة بشىء ما فى الضربة الثانية وبمساعدة وكيل المزرعة وعلى ضوء الفانوس الذى وجدوه أبعدوا التراب والكفن وحدث توماس وهو مذهول بجسد الفتاة المتعفن المتكور على بعضه كالجنين.

ولم يعد هناك شك من أن الجثة التى وجدها توماس لابنته بعد أن رأى جلبابها الأحمر الزاهى وقرطها الذهبى الذى اشتراه لها فى الربيع الماضى ياإلهى.. إنها إبنتى.. إبنتى صرخ الرجل مذعورا وهرع خارج المخزن يعدو فى هلع.. قتلوا إبنتى.. قتلوا إبنتى وتوجه إلى حاكم المدينة .

شخصية غريبة

عندما صدر الأمر من السلطات الانجليزية لتفتيش الكوخ وهو ملك « لويليم كوردر » الإبن الثالث للمزارع « جون كوردر » وهو كان يجمع بين عملين فهو مزارع تارة ومدير مرة أخرى وكاتب مرات عديدة وباختصار شديد هو رجل غامض وعندما ذاعت قصة جريمة المخزن الأحمر تردد أسم « كوردر » الذى كان يحلم بالشهرة والصيت كان ويليم يذهب لمدرسة القرية ولكن لم تسعفه الموهبة إلا بالابتعاد عن رفاقه التلاميذ الذين كانوا ينادونه بـ « النصاب » كذلك كان نفس الرأى لوالده وكان كثيراً ما يسخر منه بسبب إرادته الضعيفة وشخصيته المهتزة منذ ولادته رتب السيد « كوردر أموره بالنسبة لورثته « توما » و « جون » و« جيمس » أما « وليم » فلن يرث شيئاً ولن يصبح مؤلفا أو مدرسًا بل سيبقى مزارعاً خلافا لاخوته الثلاثة.

عض وليم على شفتيه وتقهقر إلى غرفته مع أحلامه وكتبه فعندما يشب وتسمح له مسؤلياته فى المزرعة سيستقل العربة إلى لندن وينضم إلى رفاقه فى الكلية الأدبية.

كان « وليم » أحيانا يقوم بسرقات تافهة ليسترد ممتلكاته من العائلة فقد سرق مرة أحد خنازير والده واحتفظ بثمنه وكان يبدو بالطبع أقرب إلى اللص التافه منه إلى المجرم المحترف كما سينتهى به الأمر كان قصيراً هزيلاً جعلته القراءة المتواصلة فى الليل حسيراً واعتاد أن يمشى محنيا بطيئا كانت عيناه الكبيرتان وعظام وجنتيه المرتفعة تساعده فى توهمه بامتلاك ملامح نابليون كما ذكرأنه كان دائم الابتسام وتلك الابتسامه هى التى جذبت

إنتباه « ماريا مارتن » أحد الأيام.

وتشترك « ماريا مارتن » فى تفاصيل جريمتها التى وقعت عليها مع بطلة الميلودراما الفكتورية إلا أن طبيعة ماريا كانت على النقيض مع طبيعة بطلة الميلودراما فبالنسبة للفكتوريين كانت « مارى » مجرد فتاة ريفية ساذجة دُنست وشوهت بوحشية عذراء بريئة شاحبة اللون جميلة بعينين زرقاويين اغتصبت بوحشية وهمجية ثم ذبحت ودفنت جثة هامدة فى المخزن الأحمر.

أما فى الواقع فقد أحبت « ماريا » ذات الأربع والعشرين ربيعاً نظرة « وليم » الذى يصغرها بسنتين وكانت أماً لثلاثة أطفال وكانت تعتبر فتاة متساهلة متسيبة مستهترة مع الشباب.

كان « توماس كوردر » أخو ويليم على علاقة بها وقد اختفت أخيرا فى قرية « بولستيد ».

افتنان شديد

كان أولاد صاحب المزرعة الأربعة أكثر فتيان القرية جاذبية لمارى ولم يمض وقت طويل حتى أنجبت طفلاً من « توماس » الولد الأكبر لكن ولسوء الحظ فقد غرق فى بركة القرية فى حادث ثم ذهب الأخوان « جيمس » و« جون » إثر مرض السل والتيفود وبهذا أصبح خظ وليم من الثروة كبيراً بعد موتهما.

غير أن ويليم لم يكن مستعداً للنهوض بأعباء الورثة لأنه أعتبرها حجر عثرة فى طريق تنمية مواهبه الأدبية ومشاريعه فى السفر إلى لندن ووجد عزاءه فى ماريا التى قابلها وأنجب منها طفلها الثانى وقد ولد هذا الطفل عام ١٨٢٧ ولم يعش إلا أسبوعين فقد كان موته غامضاً ولم تخرج له جنازة

ويعتقد أن « وليم » و « ماريا » دفنا الطفل سراً فى أحد الحقول وإذا كان الأمر كذلك فقد أثار الشبهات حول طريقة موت الطفل وفيم كان أحد الوالدين متورطا بذلك؟

لم يجب على هذا السؤال الذى أثير فى قرية «بولستير» وكل ما عرف آنذاك هو أن « وليم » و « ماريا » شخصان مصابان بخوف غامض.

لم يكن لاختفاء جثة الطفل أى أثر معاكس على عائلة « ماريا » وشرعا يتدبران أمر زواجه من ابنتهما وكل ما كان الأمر يطرح على منضدة المناقشات كان الجدل يشتد ويشتد بين العاشقين. نشب خلاف حاد فى منتصف الشهر فقد تراءى أمام ناظريه تلاشى أحلامه فى الحياة الأدبية التى بدأت تنهار أمامه بارتباطه امرأة سليطه ولربما أحس بوقوعه فى شرك وتنقصه الشجاعة ليتخلص منه.

ارتبطت تلك الأسئلة بالأحداث التى جرت يوم الجمعة الثامن عشر من الشهر عام ١٨٢٧ إذا كان وليم على موعد « ماريا » فى الحادية عشره من ذلك الصباح وكان عليه أن يناديها من كوخ والديها. وصل متأخراً ساعة كاملة ولكن « ماريا » لم تعبأ به فقد كان ذهنها حافلاً بأفكار شتى عن شجارهما الأخير كما كانت واقعة فى غرام .

كان ويليم فى الحديقة.. يفكر فيما حدث كانت الأحداث أكبر من أن يستوعبها فى جعله مشتت الذهن غير مستعد لأى شىء.. وبينما هو على هذه الحال.. وجد ماريا ترتمى عليه فى حرارة قائلة: أخيرا سوف نكون معاً وطوقته بذراعيها لكنه أبعد عنه ذراعها فى جفاء وقال: سنتزوج.. استعدى هذا الصباح وتيقنى أن الوقت ليس كافيا.

أحست ماريا بأنه هوى على رأسها بكلتا يديه فترنحت من هول الصدمة وقالت لكنهم سيقتلونى وذلك بسبب التهمة الموجهة إليها وللطفل الذى أنجبته وطفرت منها دمعة حزينة.

لكن ويليم أجابها قائلا: احضرى لك بعض الثياب الرجالية وبإمكانك أن تتنكرى بها وسوف تظلى فى المخزن الأحمر حتى يأتى الظلام.. ثم ألقى اليها بقميص وبنطلون.

تنكر.... وشك

بعد قليل أقبلت ماريا وهى ترتدى ملابس رجل وعندما نظرت السيدة «مارتن» من شرفة المطبخ بعد لحظات لم تشاهد إلا ظلال رجلين أحدهما «وليم» عرفته والأخرى «ماريا» ولم تتبينها وكانت آخر نظرة تلقيها على «ماريا مارتن» على قيد الحياة.

لم يحاول «وليم» فى الأسابيع التالية أن يبتعد عن القرية وعندما سألته السيدة «مارتن» عن «ماريا» لم يحاول التملص أبداً بل أجاب «إنها فى ابسوتين تنتظر موعد الزفاف وتتسوق وترسل تحياتها لك استطاع كوردر بشكل ما أن يؤكد معقولية كلامه طوال صيف ١٨٢٧ وفى تلك الأثناء كان يطلق سيلاً من الأكاذيب التى ينشرها عن «ماريا».

مثلاً فى وقت الحصار أبدى تذمره من غياب «ماريا» وتحمله عبئاً أكبر من طاقته وأنه يعتزم الذهاب إلى ابسوتين ليتزوجها وحزم حقائبه وتوجه إلى لندن إلا أنه لم يتزوج ماريا وإنما كان فى انتظاره عروسه «كاثلين مور» النقيض التام لماريا.

وكان قد تقابل عندما كان « كوردر » فى رحلة إلى شاطىء سوسيكس ولم يضيع « كوردر » الوقت فى لندن فى تعزيز صداقته بها وقد بادلته الآنسة « مور »وهى معلمة على جانب كبير من العفة والذكاء وتزوجته فى كنيسة القديس أندريو فى « هولبورن » منذ قرن ونصف كانت حارة يالنج اللندية مجرد جزء من الريف حيث شيد آل كوردر مدرسة كاثلين الجديدة كان هذا المكان هو الجنة بعينها لوليم فكان يأتى يومياً إلى غرفة الصف واضعاً النظارة حاملاً الكتب .

حافز مخيف

جاء الربيع بأبهى حلله السندسية وغادر السقيع المزارع وأصبحت حكاية ماريا فى جب النسيان لكنها ظلت فى ذاكرة السيدة «آن مارتن » التى كانت تطل من النافذة الصغيرة محدقة فى التبن الأحمر تحت أشعة الشمس من مخزن كوردر فيلح عليها دافع مخيف يجعلها تهب من نومها صارخة وأن ماريا ماتت بطريقة غامضة وقد تكون قتلت وأن دم ابنتها لن يذهب هباءً وها هى ترى ابنتها فى كوابيسها وهى التى أخبرت زوجها عن مكان احتمال وجود الجثة .

وبالتحريات عن الأماكن التى يتردد عليها « كوردر » اتضح أنه كان على علاقة غير شرعية بماريا . . وبعد جمع الأدلة فوجىء « وليم كوردر » بالشرطة تدق بابه وتوجه إليه الاتهام بأنه قاتل ماريا فرفع نظارته عن عينيه قائلا : لم أسمع قط بفتاة تدعى « ماريا مارتن » .

مرت أربعة شهور قبل أن يدخل « كوردر » قفص الاتهام فى »شو فولك »

ليواجه تهمة القتل ودليل الإدانة من السيدة مارتن ذات البصيرة النافذة وخلال هذه الفترة تناقل الناس الشائعات عن اسطورة «ماريا مارتن» قصة العذراء البريئة التى اغتصبت وذبحت على يد وغد مستهتر وأصبحت هذه الحكاية هى المفضلة لدى أهل القرية وبدأت القصة تتبلور بشكلها الروائى على منابر الكنائس حيث تشدق الكهنة عن الفتيات المستهترات والمصير الأسود الذى ينتظرهن على يد الشباب الحقير أمثال وليم كوردر وأصبح الفنانون فى القرية متأثرين فراحوا يقدمون عروضاً بالعرائس المتحركة تصور جريمة المخزن الأحمر وفى كل عرض تتغير الأحداث الرهيبة فتبدو ماريا أكثر نقاء وبراءة فى كل مرة وكوردر أكثر نذالة نظراً لميل الناس وتعاطفهم فى تلك الفترة مع قصص اغتصاب الفتيات والعذراءات لأن هذا العصر هو عصر العواطف السامية والملامح البريئة.

وهكذا قام المؤلفون برسم صورة مثالية لماريا لم تحصل عليها امرأة. وانتشرت مثل هذه المسرحيات الإيمانية على طول البلاد وعرضها فأين تكمن الفرصة المناسبة أمام محامى «وليم كوردر» وهل يمكن أن تكون المحاكمة عادلة لذلك فقد تقرر إيقاف المحاكمة.

وأنهالت الشهادات التى تهاجم «كوردر» وتحاصره ويلبسه الجريمة دون أدنى شك فقد أدلى شاهد برؤيته لوليم كوردر وهو يمشى متوجهاً نحو المخزن الأحمر حاملاً فأسًا بينما أثبت شاهد آخر أن كوردر استعان حجرا ففى الوقت نفسه تقريبا وأعادوها فى وقت متأخر من النهار نفسه كما وجده فى حوزته مسدسين استخدم أحدهما فى تنفيذ جريمته.

كان دفاع «كمورد» ضعيفا ومفاده أن شجارا حدث فى المخزن الأحمر

بينه وبين ماريا فانسل مستاءً منها تاركاً إياها هناك وما إن تقدم قليلاً حتى سمع صوت إطلاق نارى فهرع عائدا فوجد « ماريا » جثة هامدة على أرض المخزن وبجانبها مسدس أمسك به برعب فقد كان ملكه.

قال كوردر لابد أنه أخذ من غرفة نومى فقررت أنا دفنها بأفضل طريقه ممكنة تجنباً للشكوك التى تحوم حولى بالتأكيد.

لكن قصته لم تقنع أحداً لأكثر من ثلاثين دقيقة لتصدر عليه حكماً بالادانة. فانهار واعترف بكل شيء.

وعلى حبل المشنقة كان مجرموا القرن التاسع عشر يلاقون حتفهم بقسوة تقدم الجبان كوردر من المنصة أمام آلاف المشاهدين فى سجن ايدموندس واعترف بكل ذل وهو أن إننى أستحق هذا المصير.

غطى رأسه بعد ذلك بقناع. وما هى إلا دقائق معدودات حتى سقط جسده جثة هامدة.





الفصل الرابع



جريمة بالسم الهارى

جريمة بالسم الهارى

تحت عنوان « محاكمة أديلايد بارتلت » كتب الخبر يقول اقترفت اديلايد بارتلت جريمة قتل بشعة حيث قامت بوضع السم لزوجها الذى مات فى الحال وقد كان المحرض الأول لهـا على هذه الجـريمـة الكاهن « ريف ديسون » والذى كـان يقـبع إلى جـوارها فى الزنزانة.. تدافـعت جمـوع من النساء واقتحمن المحكمة لرؤية الأرملة الفـرنسـيـة الجميلة التى قتلت زوجها بمساعدة الكاهن الذى اعـتـقـد الكثير من الناس بأنه عشيقها.

لغز صعب

استدعت المحكمة موظف قانونى لمحاكمات جرائم السم كلها فى انجلترا وكان السيد « تشارلز روسيل » وهو جنرال ايرلندى صارم هو المسئول الرسمى من جهة الادعاء.

واستطاعت السيدة « بارتلت » أن توكل السيد « ادوارد كلارك » أشهر

وأذكى محامى فى عصره وقد اشتهر بتوليه القضايا المستعصية وقد تفرغ لهذه القضية تماما وقضى أكثر من عشرة أيام فى المتحف الانجليزى يطالع ما يتعلق بالكلورفورم من تكوينه وكيفية استخدامه تلك المادة التى اتهمت موكلته بأنها قد دسته للفقيد «إدوين بارتلت».

كذلك وكلّ «ريف ديسون» محاميا آخر وهو السير «فرانك لوكود» غير أن السيد لوكود لم يقدم لموكله إلا القليل حيث التمس من المحكمة قيامها بمحاكمة «ديسون» بشكل منفصل لكن التماسه كان غير ضرورى حين صرح الموظف القانونى المنتدب عن السلطة منذ البداية بعدم وجود دليل ضد ديسون وتمت تبرئته من هيئة المحلفين.

وفى ظل هذه الظروف قررت المحكمة استدعاؤه كشاهد وقد تم التوقع بأن هذا الإجراء سوف يعزز من الدعوة ضده «أديلاند بارتليت» كما تم التوقع بأنه سيساعد الدفاع حيث صرح بالقيام بالمحاسبة على كل عبارة تفوه بها وهذا غير ممكن فى حالة بقائه فى الزنزانة فى هذا الوقت كان غير مسموح للسجناء الادلاء بشهادتهم فى الدفاع عن أنفسهم وهذا يعنى أن السيدة «بارتلت» لن تدلى بشهادتها.

فى المحكمة

كانت السيدة «بارتلت متشحة بالسواد» وهى سيدة فى الثلاثين من العمر امرأة متلألئة العينين عاطفية المزاج قالت إنها ابنة رجل انجليزى ذى مركز مرموق ولم يكشف الستار عن والدتها أوعن بداية حياتها إلاأنها جاءت إلى انجلترا وهى لاتزال طفلة.

كانت تعيش فى كينجستون عام ١٨٧٥ وكان يعيش معها فى نفس البيت رجل يدعى « فريدريك بارتلت » الذى قام بتقديمها لأخيه « ادوين » البقال وبعد عدة ساعات تزوج « ادوين » و « بارتلت » بتشجيع من والدها الذى أهداه مبلغا ليبدأ حياته ويتوسع فى عمله فصار فى فترة وجيزة أن يمتلك ستة محلات فى جنوب لندن.



وتزوجت « بارتلت » فى التاسعة عشرة من عمرها وقت زواجها وكان زوجها يكبرها بعشرة أعوام وكان ينظر لها نظرة ذات معنى لأنها لم تكمل تعليمها لذلك سعى هو ليكمل تعليمها وألحقها بمدرسة فى استوك نيو ينجستون » وكانت تعود إليه فى العطلة الصيفية.

لم تكن « أديلايد بارتلت » موفقة مع زوجها فوجدت نفسها على خلافات دائمة معه وكانت نظرته إليها دائماً دون المستوى اللائق وكان دائماً يقول فى أحاديث معها أن الرجل يحتاج إلى زوجتين واحدة للعلاقات الاجتماعية وأخرى خادمة كانت أديلايد تسعى للتخلص من نظرته إليها كخادمة فراحت تسعى نحو الأمومة وأخبرت طبيبها بذلك.

صدمة قاسية

بعد عام من متابعتها الطبيب أخبرها أنها حامل فكانت سعادتها كبيرة وعاشت لحظات وساعات كانت بكل العمر الذى عانت منه العذاب ومرت الشهور وهى على حالتها من هذه السعادة الغامرة ولكن للأسف شاءت الأقدار أن تضع مولودًا لا حياة فيه مولود ميت وقد خرج إلى الحياة حاملاً معه رحمها الممزق فأخبرها الطبيب بكل حزن بأنها لن تنجب ثانية..

وبكت ومزقت ثياب عرسها وهامت على وجهها أياماً وشهوراً فى الفيلا الواسعة .. بين الردهات والشرفات والحديقة تنظر إلى القمر وتبكى وتخبره بأنها لن تكون أماً لن تحمل الأطفال على صدرها لترضعهم.. ولن تسمع كلمة ماما أبداً.. لقد كان عذابها النفسى يفوق عشرات المرات عذابها الجسدى. عاشت مع زوجها جثة بلا روح وابتعدت عن العلاقة الزوجية مما جعل زوجها يكرهها ويزهدها أكثر من ذى قبل وقرر أن يبتعد عن المدينة ويعيش معها فى «ويمبلددون».. لقد كان يحمل لها نوعًا من الوفاء جعله لا يستطيع أن يفترق عنها بسهولة فأخذها وتردد على كنيسة ويلزى المحلية وتعرفا على القس «جورج أليسون» وكان إنساناً جذاباً.. لطيفا تخرج من جامعة ترينتى وسرعان ما أصبح صديقا لهما اقترح «إدوين» على زوجته أن تتم تعليمها تحت إشراف الكاهن «ريف إديسون» وقد شعر ريف بالسعادة الجمة أثناء هذا العرض فقد راقته الشابة الحسناءكثيراً وتوطدت الصلة أكثر حينما بدأ فى زيارتها أثناء غياب . زوجها وأصبح يجلس معها على كنبة واحدة أثناء الدروس وكثيرا ما كان يلمس يدها عن قصد معتمداً ذلك ما جعلها تفتقده

أثناء غيابه وقد لاحظ زوجها أنها بدأت تهتم بمظهرها وزينتها وشعر أنها أصبحت قريبة منه إلى الحد الذى جعله يحبها ويتعلق بها وهو لا يدرى ما الحدث الذى جعلها تتغير بهذا الشكل الرائع وكلما تقابل مع « ريف » شكره على ما حدث لزوجته من سعادة وراحة واطمئنان وأخبره أنه سوف يكتب فى وصيته أن تؤول ملكية كل شيء من بعده.

لذلك قرر ريف أن يقطع صداقته بـ اديلانيد وزوجها..

قطيعة.. لماذا ؟

سأل « ادوين » ريف ولماذا تقطع صلتك بنا .

– أتمنى لكماعلاقة سعيدة..

شعر القس بأن الزوج أعطاه إشارة الأمان بالنسبة لعلاقته بزوجته فصار بعد ذلكم بإمكانه أن يقبلها علناً وبحضور زوجها وأن يصاحبها خلال رحلاتها كما يدعوها إلى شقته بلا حرج.

وقد قالت « اديلايد » فيما بعد « لقدرمى بنا زوجي أو بمعنى أصح لقد تنازل عنى لـ « ريف » . عادت « أديلايد » إلى لندن عام ١٨٨٥ فى جناح مفروش فى شارع كلابر تون فى بيلمنكو.. كان « ادوين بارتلت » صحيح الجسم قويا ولهذا وافقت عليه شركة التأمين على الحياة قبل ثلاثة أعوام لكن « أديلايد بارتلت » أخبرت « ريف » أن « أدوين » زوجها عانى بضع سنوان من ألم داخلى وقد قامت بتمريضة ومعالجته بالكلوروفورم لتخفيف الألم.

استدعى طبيب من البلدة إسمه « الفرد ليتسن » وبعد أن قام بفحصه وجده يعانى من عسر فى الهضم بالإضافة إلى تسمم زئبقى فأخبره المريض أنه

بتناوله لعقار غير معروف كما وجد الدكتور ليتسن أن أسنانه فى حالة سيئة جداً وأنه يعانى من موت موضعى للأنسجة الحية فى اللثه.

ظلت أديلايد تتابع تمريض زوجها بتفان واخلاص تسهر بجانبه ليلة بعد أخرى وقد نصحها الطبيب أكثر من مرة بالراحة ولكنها رفضت بشدة مؤكدة أن زوجها لا ينام إلا إذا مسكت بإصبع قدمه خشيت أديلايد بعد ذلك أصابع الاتهام الممتدة إليها من قبل أصدقاءزوجها بتسميمه إذا تأخر فى الشفاء فسارعت باستدعاء الدكتور « دودلى » غير أنه وعلى معاناة المريض وأرقه وحاله أسنانه السيئة إلا أنه لم يعد نفسه فى خطر.. وقد نصحه الطبيب أن يخرج يوميا ويمشى على أقدامه وما أن رآه يتحسن حتى أخذه فى نزهة بالسيارة كان ادوين فى مرضه يعانى معاناة شديدة وقد اعتاد والده زيارته وكذلك القس « ديسون » الذى أحضر للسيدة « بارتلت » بناء على طلبها قارورة من الكلورفورم.. تحسن زوجها بسرعة وأصبح قادراً على زيارة طبيبه لمتابعة حالته.

ورغم الظروف الصحية المميتة التى مر بها السيد « ادوين » إلا أنه كان يتمتع بشهية ممتازة إذ كان يتناول الأسماك والأرانب والخبز والزبدة والكعك.. وطلب من الخادمة أن تشعل النار لتحضر الشاى.

ليلة مظلمة

فى حوالى الساعة الرابعة صباحاً استيقظ الجيران على صوت السيدة « بارتليت » وهى تصرخ قائلة – النجدة – النجدة.. لقد مات زوجى – الحقونى. تجمع الجيران فوجدوا زوجها ممدداً فوق سريره بارد كالثلج وهذا معناه أنه قد فارق الحياة منذ أكثر من ثلاث ساعات. كانت السيدة اديلايد تهزى بكلمات..

– لقد غفوت ويدى على قدمه ثم استيقظت على ألم فى ذراعى وعندما نظرت وجدته منكباً على وجهه وقد تثلجت أطرفه.

كانت رائحة الغرفة يفوح منها مخدر قوى وحين سألها مفتش النيابة الذى حضر بعد الإبلاغ عن الوفاة:

– هل احتسى زوجك السم.

فأجابت بالنفى.

أمر المحقق بأن تغلق الغرفة بالشمع الأحمر وكذلك تشريح الجثة وعليها مغادرة المنزل إلى أن تنتهى التحقيقات فاتصلت ببعض صديقاتها لتحدد عند أيهن سوف تعيش..

وفى الطريق سألها «ريف» إذا ما كانت استخدمت الكلور فورم الذى أحضره لها – فذكرت عدم استعماله له إذ لم تسنح لها الفرصة لاستخدامه ومازالت كما هى.



بعد الرحيل

ظلت القارورة كما هى على المنضدة المتحركة منذ موت زوجها حتى الصباح التالى – حسب ادعائها حيث أودعتها فى أحد أدراج غرفة النوم وأفادت أنها ماتزال فى مكانها حين عودتها إلى المنزل فما كان منها إلا أن ألقت بها من نافذة القطار الذى أقلها من لندن إلى «باتهاتن» وكانت المفاجأة أن نتائج تشريح الجثة قد ظهرت

وكشفت عن وجود أكثر من ١١ حبة من الكلورفورم فى المعدة وقررت المحكمة أن السيدة « بارتلت » مدانة ومتهمة بدس الكلورفورم لزوجها بنية القضاء على حياته وبعلم « ريف جورج ديسو » ولم يعد هناك أدنى شك أن موت السيد « بارتلت » كان بسبب الكلوررفورم الموجود فى معدته لتسكن الألم ثم قام أحدهم باعطائه كمية كبيرة من الكلوروفورم فى حنجرته أثناء غيابه عن وعيه.

استجواب الأب

– هل كان إبنك مريضا.

– نعم.

– وهل استمر مرضه طويلا.

– لا وقد أخبرنى أنه قد تماثل للشفاء.

– ماذا قالت لك زوجته حين قامت باستدعائك .

– قالت: إنه مات ويدى حول إصبعه.

– هل أخترتها زوجه لابنك.

– لم أكن موافقا أبداً على زواجه منها.

– هل كتبت لزوجته خطاب اعتذار.

– نعم بناء على رغبة إبنى إلتماساً نحو الهدوء لكثرة ما كان بينى وبينها من مشاكل.

– ما هى التهمة التى وجهتها إليها قبل أن يموت إبنك؟

– اختفت لمدة أسبوع.

استمرت الاستجوابات بهذا الشكل مع سكان المنزل وغيرهم من الشهود الذين لا تأثير لهم فى سير التحقيق.

إلى أن جاء دور القس « ريف جورج ديسون » الذى اعتلى منصة الشهود بلباس الكهنة فروى أنها طلبت منه أن يحضر الكلورفورم بحجة الاستخدام الخارجى لزوجها فقد تعللت بوضع القليل منه على منديل ثم تقوم بتقريبه من أنفه فأحضر لها كميات قليلة فى أربع زجاجات منفصلة متعللاً أمام طبيب الصيدلية فى كل مرة أنه سيستخدمها لإزالة آلة البقع الدهنية وعند عودته إلى المنزل صبها فى قارورة واحدة كبيرة وقدمها للسيدة « بارتلت » فى اليوم التالى أثناء خروجها للتنزه.. وقد رافقها فى طريق عودتها للمنزل ولاحظ سرورها لدى رؤيتها زوجها ينهض من فراشه للذهاب فى نزهة بالسيارة.

ذكاء حاد

تميز السير « ادوارد كلارك » بالذكاء الحاد فى استجوابه فقد بدت أسئلته هادفه ومتعاطفة فى آن واحد وقد أكد على شيء واحد وهو الدليل الأكيد لاتهام القس والزوجة الاثنين معاً إلى حبل المشنقة.

أكد « ريف ديسون » فى البداية على مقابلته للسيدة بارتلت فى منزل عائلة « ماثيوس » وهم الأصدقاء الذين ذهبت لزيارتهم فى « دوليتشر ».

وهل تحدثت إليها فى ذلك اليوم عن الكلوروفورم؟

– نعم

– وهل كنت ساخطه.

– ساخطه جدا.

– وهل ذكرت شيئاً عن ضرورة مشاركتك فى إعطاء الكلوروفورم فزوجها؟
صرح الشاهد بأنها استخدمت مثل هذه الكلمات وسمع هذا الاقتراح من شفتيها بشكل مباشر ولكنه لم يرها منذ ذلك الحين.
– هل كان بينكم أى تفاهم سرى بعيداً عن زوجها؟
أجاب الشاهد مؤكدا .. أبدا
– هل كان بينكم تجاوز لحدود الأدب؟
– لا .. لا ..
ثم انهار واعترف أنه كان يقبلها.
– وهذا قله احتشام..
– لا .. لا ..
تدخل القاضى قائلاً: تعنى أن القبلات كانت فى حضور الزوج.
– وفى غيابه أيضاً.
– لابد أنك لاحظت منذ البداية أن للسيد بارتلت أفكاراً خاصة عن الزوج وأنه له الحق أن يتزوج باثنتين فى آن واحد واحدة للعلاقات الإجتماعية وواحدة للخدمة.
– هل كانت بارتلت تشارك زوجها السرير .
– لم يذكر لى ذلك أبداً..
– لماذا ذهبت لشراء الكلوروفورم ثلاث مرات من ثلاث صيدليات مختلفة.
– لعدم تمكنى من الحصول على كمية واحدة من صيدلية واحدة.
لم يقنع القاضى بالجواب فسأله:
– لماذا لم تطلب من البائع الأول الكمية التى تريدها؟

– خفت أن يسألنى عن الغرض الذى سأستخدمه لو أكثرت من الكمية ولم أرغب فى تقديم الإيضاحات.

– ولماذا لا؟

– خشيت شكه فى خبرة السيده بارتلت فى اسخدام الأذوية.

– ولماذا تعللت بشرائك الدواء لازالة البقع الدهنية عن الثياب؟

– لم أكن أرغب فى المزيد من التفاصيل ولم يكن عندى الوقت الكافى لشرح الأسباب.

وعلى سؤال من السيد كلارك أجابت ممرضة شاهدة بعدم معرفة السيدة بارتلت باستخدامات الكلوروفورم عند ولادتها.

جاء الطبيب ألفرد ليتسن بعد ذلك ليؤكد زياراته المهنية للفقيد «ادون بارتلت» فوصف علاجه وحالة الميت فى اللحظات الأخيرة كما سرد تفاصيل محاوته مع السيدة «بارتلت» حول اشتباكها مع زوجها لم تكن شهادة الطبيب مهمة إلا بشيء واحد حين ركز القاضى على عدم رؤيته لقارورة الكلوروفورم على المنضدة عند دخوله غرفة المتوفى للمرة الأولى.

وقد شرح أحد رجال شرطة المدينة الكيفية التى فتش بها المنزل بتكليف من القاضى قبل أن يتم تشميعه وكانت مفاجأة حين عثر على مجموعة من الرسائل فى أحد جواكيت «إدوين بارتلت» وتحديداً فى الجيب الأيمن.

أسئلة طبية

هل الكلورفورم يتسبب فى الوفاة – سؤال سأله المحقق لشاهدين ذوى خبرة طبية فأكد أحدهما عدم فاعليته فى حدوث الوفاة استدعى القاضى فى النهاية الخدم الذين أكدوا أن الزوجين كانا يشاركان فى فراش واحد وقد

أغلقت الجلسة عند هذا الحد .

نفذ السيد « إدوارد كلارك » إدعاء النيابة في أن السيدة « بارتلت » كانت السبب في موت زوجها بإجباره على شرب كمية من الكلوروفورم كان الاحتمال الأول كما طرحه الدفاع فشل المحاولة في تجريع الضحيه كمية من الكلوروفورم وهو في وعيه نتيجة مقاومته والاحتمال الآخر أن يكون هذا قد تم في حالة فقدانه لوعيه وفي هذه الحالة وحسب التفسير الطبي . لابد أن يتسرب القليل منه إلى مجرى التنفس ولم يعثر على أية ج آثار تدل على ذلك وخلص الدفاع إلى القول إن « ادوين بارتلت » قد أودى بحياته باختياره في نوبة يأس مميتة .

تصرف غير طبيعي

حاول السير « تشارلز روسيل » في ختام المرافعة التشكيك في محاولة الانتحار التي وضعها الدفاع بطرح البديل القائل بأن الجرعة القاضية التي شربها القتيل كانت قد وضعت له في كوب من الشاي وقدمت له على أنها دواء يشفي .

وفي الحال قفز كلارك على قدميه معلنا احتجاجه الشديد بأن هذا الاحتمال قد فند من قبل وسانده القاضي في الاحتجاج معلناً فوات الوقت للتحقيق من صحة نظرية « روسيل » .

وما أن جلس « روسيل » وقبل أن يبدأ القاضي باختتام الجلسة وقف كلارك ثانية وطلب هذه المرة استدعاء الممرضة « والكر » للإجابة على سؤال ملح ووافق القاضي وتقدمت الممرضة إلى منصة الشهود .

سألها كلارك « هل لاحظت أثناء الوقت الذي مرضت فيه السيدة « بارتلت » أي شيء ينم عن تصرف شاذ .

قالت فى اهتمام : – نعم ياسيدى.

– وما هو؟

– لقد حدث هذه مرة واحدة فى إحدى أمسيات الأحد أصر القاضى وهل قال لك ذلك؟

– لقد كان هناك أفعال ممنوعة؟

ويتقن القاضى أن علاقاتهما الزوجية كانت قائمة.

بعدها خرجت هيئة المحكمة للتشاور لمدة ساعتين وعادوا ليسألهم الموظف القانونى.

– « وهل وجدتم المتهمة مذنبة أم لا ؟ »

قال رئيس الهيئة فى إحباط:

– لقد بحثنا عن الدليل وعن الشكوك المحيطة بالسجينة إلا أننا لم نتمكن من الأدلة الكافية التى توضح الكيفية التى تم فيها دس الكلوروفورم إلى الضحية.

جلس السير « ادوارد » مرتاحاً بعد أن انطلقت أصوات البهجة من الحاضرين.. بريئة – بريئة .

وأخيراً..

لم يعرف مصير « اديلايد » و « ريف » بالتحديد ولكن شخصاً ما روى أنهما تزوجا وذكر آخر بعدم رؤيتهما لبعضهما بعد ذلك ابداً ولكن أحد الجراحين كتب إلى المحامى « ادوارد كلارك » يقول.. أنا على يقين بأن السيدة « بارتلت » مذنبة دون أدنى شك.. وكم كنت أتمنى فى لحظة استيقاظ ضمير منها أن تحكى لنا تفاصيل ما فعلت.

سؤال ؟

إذا كانت السيدة « بارتلت » قد فلتت من عقاب الأرض فهل تنجو من عقاب السماء.

الفصل الخامس



رجال ونساء.. وزواج خاطىء

برنسيسة ودادة

من هي . .

كانت إبنة الامبراطور نابليون بالمعمودية « مكان التعميد » وكان هو وريث أحد أغنى الدوقات فى فرنسا ، كان زواجهما يبدو نموذجاً للكمال وحبهما ضمانا لسعادة دائمة . إلا أن تلك الصورة بدأت بالتصدع شيئاً فشيئاً وتحول الحب إلى كراهية وفى ليلة صيف من عام ١٩٤٧ حدث الانفجار الوحشى المأساوى العنيف وانتهى نهاية دموية مثيرة .

كانت غرفة نوم الدوقة فى « تشويسول براسلين » تغرق فى ظلام فالنوافذ جميعها مغلقة دخل زوجها الدوق بعد الغروب إلى الغرفة وحده بهدوء ولم يكن لديه فى ذلك الوقت المبكر أية رغبة زوجية أو حاجة إلى الراحة الجسدية بل ضم بين جناحيه قلباً طافحاً بالكراهية والحقد وحمل بيده سكيناً ومسدساً .

وبسرعة أطبق الدوق على فم زوجته بيده وانحنى على رقتبها بالسكين قطع شريانها . . أطلقت صرخات عالية اخترقت عنان السماء وضج لها الشارع وجنبات الحى وأمسكت بالسكين الملطخة بالدم بجنون فجرحت يدها جرحاً عميقاً .

بصمات ملطخة بالدم

كانت الدوقة امرأة بدينة ولكنها ماتزال شابة فى الأربعين . . لكنها بعد أن جرحت يدها اندفعت فى كل أنحاء الغرفة ورغم الظلام الشديد والدم المتدفق إلا أنها تركت بصمات دامية على الأبواب الثلاثة الموجودة بالغرفة

وكذلك الجدران. لكنها اكتشفت وللأسف أن زوجها قد أغلق كل الأبواب فأخذت تصرخ بجنون ودقت جرس الخدم بعنف فانقطع أحدهما عن الرنين.. بينما راح الدوق يتابعها بعنف فى الظلام ممسكاً بسكينه فى هستيريا حتى أصابها بثلاثين جرحًا فى جسدها انقضت الدوقة بعد أن أصابها الجنون من الخوف والألم على السفاح الذى طعنها كل هذه الطعنات وعضته وخدشته ثم وجدت سكيناً فوق مائدة الطعام فاستلته وطعنت الدوق بها وأخذت تركض كحيوان أطبقوا عليه القفص فأخذ يهذى مترنحا حتى اصطاده الصياد وبالفعل أطبق الدوق قبضته عليها وكسر جمجمتها تماما بمسدس كان يحمله ثم بالشمعدان وهنا فقدت وعيها وسقطت جثة هامدة تجمع الخدم إثر صوت الجرس والصرخات المدوية التى أطلقتها الدوقة أمام غرفة النوم..

تدافعوا ليجدوا الدوقة وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد أن غطت الدماء أرجاء الغرفة كانت تحتضر بين يدى عجوز بعد أن نزفت آخر نقطة دم فى شرايينها. كان الخدم يهرولون فى سرعة ولم يجدوا الدوقة للوهلة الأولى بعد أن غطت أعمدة الدخان الأسود الكثيف غرفة النوم وكان هذا أكبر الأدلة وأقواها التى جعلت الزوج يهرول هاربا فى ذلك الصباح لإبعاد كل الشبهات عنه.

كانت جريمة «فانى – دوقة تشوسيل براسلين» بعد ٢٣ سنه من الزواج صدمة لفرنسا كلها عام ١٨٤٧ وقد ظلت هذه المأساة لمدة طويلة مادة للتخمين والتخيل.

شكوك فى المهد

كان الامبراطور نابليون أباً مثاليا عندما قامت والدة « فانى »بتعميدها ربيع ١٨٠٧ كان والدها « هورس سيباستيان » جنرالاً نابليونيا وما أن توفت والدتها متأثرة بولادتها حتى عهد الجنرال بابنته إلى مربية تتولى أمورها فطموحاته الحربية تشغله عن تنشئتها بنفسه وهى المربية مدموزيل « ميديلسو » يصفها بعض المؤرخين بانعزاليتها كما تشير بعض الدلائل إلى نزعتها الشاذة.

كانت « فانى » فى السادسة عشرة من عمرها عندما قابلت الرجل الذى اتخذته زوجاً فيما بعد لقد سحرته ببشرتهاالخمرية ونظرتها الآسرة التى ورثتها عن أبيها وانتقلت الفتاة المحظوظة مع الدوق الغنى إلى قصر البراسلين العظيم ولم تعد عائلة « سيباستيان » بحاجة للبحث عن عريس لابنتهم « فانى ».
لم تكن الحساسية والتوافق النفسى من الأهمية بمكان لزواج ناجح سليم من الناحية الاجتماعية فى القرن التاسع عشر فالمتقدم للزواج ابن « دوق » والمعروض عليها إبنة « جنرال » فماذا يطلب أو يطمح لأكثر من ذلك..
وربطت بينهما قصة حب كانت ميولهما واحدة وانسجامهما غير عادى..
ولكن هناك من يستكشفون الأمور بنظرة ثاقبة أن بعض الشكوك التى لاتزال فى المهد تحوم حول هذا الزواج.. وسوف تعرف لماذا؟
كانت « فانى سيباستيان » على صغر سنها امرأة مسيطرة ذات شخصية محيرة ولكنها فى الوقت نفسه خياليه جامحة العاطفة مما انعكس على رسائلها ويومياتها المميزة فيما بعد وعلى النقيض من ذلك فقد كان زوجها

ارستقراطياً قلبا وقالبا فهو قليل الكلام لا تبدو عليه أمارات الذكاء الوقاد أو الإرادة الحقيقية فهو خال منها تماماً وقد وصفه أحد معارفه بالجبان الرعديد وعلى كل معايبه هذه فقد ارتبط الشاب والفتاة فى اكتوبر عام ١٨٢٤ بزواج كان حديث باريس كلها.

كانت العروس الجميلة المتألقة حديث العاصمة ترتدى ثوباً أبيض من الدانتيلا البيضاء بذيل وصل طوله إلى ٢٠ م حمله لها عشرة من البنات الصغيرات وطرحة طويلة وضعت على شعر كستنائى كالحرير وعلى دقات الموسيقى صفقت الجماهير الذى اصطفت على الجانبين لتحية الدوقة الصغيرة التى لم يتجاوز عمرها السابعة عشرة من عمرها آنذاك وبعد سبعة عشر عاماً كانت أما لتسعة أطفال فكان ذلك سبباً فى أن ازدادت بدانة وترهل جسدها وتوارت ملامحها الجميلة خلف السمنة والتجاعيد التى أخذت تغزو الوجه الطفولى فتضيق العينان الواسعتان وتخلو من الجاذبية تماماً.

وفى ذلك العام انتقل الدوق والدوقة وأسرتهما الرفيعتين للإقامة فى القصر الريفى بعد أن مات الأب وترك للدوق اللقب والممتلكات الضخمة ومع هذه الطفرات المادية لم يتحسن وضع الزواج الخاطىء فالزوجان يعيشان حاية انفصال كامل داخل القصر وقد عبرت الدوقة عن حزنها وأزمتها العميقة فأخذت تصب لعنتها ويأسها فى سلسلة الرسائل التى وجهتها لزوجها جاء فيها لمن أحمل هذا الحب الذى كاد يقتلنى وأنت دائماً تتجاهلنى وتتجاهل مشاعرى.. لماذا أسهر دائماً وحدى أناجى القمر واتعذب وهذا ما يدفعنى لأن أفعل أشياء شاذة ظلت.. «انى» تكتب هذه الرسائل وتشعر بالراحة لكنها نسيت شيئاً هاماً وهو أن سبب بعد الدوق منها أنها تعشق السيطرة

والامتلاك مما جعله يشعر بالغربة ونفر منها نفوراً شديداً - نفوراً لا يمكن تصوره لذلك كانت تنتابه نوبات غضب وهياج شديدة تجاه الزوجة المحبة والمشحونة بالعواطف والمشاعر.

وهنا يكمن سؤال .. هل لأن الدوق كره الدوقة وهجرها جعلها تكره الرجال وتميل ناحية النساء مما سبب لها أزمة نفسية شديدة ظلت معها لسنوات طويله زادتها ألما وعصبية.

لذلك نجد أن المربية مودموزيل «ديسبريز» على سبيل المثال والتى قامت بتربية أطفال الدوق أربع سنوات كانت سحاقية فهل هناك تشابه بين تلك المربية وبين المربية التى أشرفت على تربية الدوقه وصارت مثلها فتركت بصمات واضحة على عواطفها المتشابكة والتى صار الهروب منها شيئاً محالاً عليها..

كل ذلك كتبته صراحة فى مذكراتها ورسائلها الغاضبة التى تركتها لزوجها.

ديلوزى .. تعيده إلى الحب

لشكوك ما .. طرد الدوق «مودموزيل ديسبريز» التى كانت تدير المنزل واستبدلها بسيدة أكثر تجهماً وجاءت الآنسة «هيزيت ديلوزى - «ديسبورتس» بعدهما .. لتحيل المنزل الكئيب إلى كتلة من الحيوية والسعادة. وكانت فتاة فى العشرين من عمرها ذات بشرة ناصعة فى لون الثلج - يسترسل شعرها الذهبى دون قيود على ظهرها ترتدى ملابس الأميرات فى الأساطير القدمية.. فى تلك الأثناء كان الدوق وصل مع زوجته إلى طريق مسدود فى علاقتهما الزوجية انتهى بأن أصدر قراراً غريبا يقضى بحرمان زوجته من أطفالها والاقتراب منهم إلا فى حضور «ديلوزى» مدعيا

أن زوجته أصبحت خطراً على الأطفال بسبب هو يعلمه لم يفصح عنه لعله وجد علاقة غير طبيعية بينها وبين المربية السابقة.

وبإمضائه هذا القرار يكون قد حرمها كأم من كافة حقوقها فى تربيتهم.

وعلى الجانب الآخر فقد أصبحت « ديلوزى » كل حياته الخاوية لقد كانت بحيويتها وابتسامتها سراً جديداً يبعث على الغيظ والضيق من جانب الدوقة.

وقد وصفت الآنسة « ديلوزى » فى يومياتها ورسائلها مشهداً من زيارات الدوق المسائية بقول: إن ابتهاجنا وحبورنا أضفى على الدوق احساساً خاصاً بطعم السعادة بيسر وسهولة وقد شاع فى محيطنا الصغير جو من الود والانفتاح حيث توافقت أذواقنا وطرق تفكيرنا فنسينا تدريجياً كل الفروق الاجتماعية إلا أن كل شىء ظل ضمن الحدود المفروضة بحضور الأطفال.

وبإقصاء الدوقة بأمر من زوجها عن مثل هذه الاجتماعات الحميمة أصبح « ديلوزى » صاحبة السيادة فى القصر مما جعل الدوقة تستشيط غضباً واشتاقت إلى الحياة مع زوجها الذى لم يعرها أى اهتمام.. وكان لهذا الرفض أكبر الأثر فى ثورتها العاطفية الغامضة وحينما كتبت رسالة كان قلمها يقطر كراهية وغضباً مسموماً ويكيل الشتائم وهو يخط صورة مجردة لغريمتها وظلت تجتر عذابها ومرارتها وحيدة وكان مضمون الرسالة « لا أعتقد أن أحداً ما يمكن أن يصل إلى درجة من التعاسة كالتى أعانى منها وأحياها.. »

سهم فى القلب

إلا أن الدوق كانت تنتابه لحظات عطف عليها فيداعبها بأن يقتحم عزلتها المتأججة برغبة باردة أو يطاردها أثناء أجازتهم على شاطىء البحر من

الفندق الذى ينزلون به حتى منطقة خالية تغرق فى ظلام الليل إلا أن هذه الومضات الزوجية لم تكن لتستمر بين جدران القصر وعندما شاع أمر الدوق مع عشيقته التمس «أذكياء» القرن التاسع عشر لخيانته مسوغاً شرعياً . وعلى إقرار الجميع بعلاقة الدوق بالمربية كعشيقة له ترافق الأسرة فى كل خطواتها لم يعترف بهذه الحقيقة أحد من العناصر الأساسيين فى هذه المأساة بل على العكس من ذلك فقد كانت الآنسة «ديلوزى» تنفيها باستمرار لم يكن هناك أى دليل مادى أو مستمسك ضدها أو ضد الدوق حتى الدوقة نفسها لم تكن تصدق أن زوجها والمربية يتقاسمان السرير ذاته.

كانت الدوقة تبدو سيدة مظلومة على كل الأحوال فقد ظهرت أما انتزعوا منها أطفالها ووضعوها تحت رعاية امرأة ساقطة وتحت سقف واحد ترى ماذا فعلت لتستحق ذلك كله؟ كانت المسكينة متدينة، متسامحة ودودة ولا يعرف العامة أى شىء عن مس الجنون الذى أصابها بالطبع وعقدة الاضطهاد وثوراتها وكانوا يرون أن خبث الدوق ومعاملته السيئة لها بهذا الشكل البربرى كان سبب كل سوء أصابها.

لم تكن الدوقة بريئة من التعامل السىء مع المربية ولكنها عرضت على المربية فجأة فى عام ١٨٤٦ بدء صفحة جديدة من التعامل اللطيف بعد أن أذاقتها الإهانة والذل طوال ست سنوات ماضية إلا أن الدوقة وهى تعاهدها على هذا المبدأ كانت تخطط لنقضه دون شك.

ففى العام التالى بدأت تخطو خطوات ماكرة طوت عليه صدرها طوال سنوات عديدة فأحرقه إذ توسلت لوالدها طوال العام الماضى وطلبت مساعدة

الأساقفة وذوى النفوذ وحتى المطران لمساندتها فى طلب الطلاق من الدوق نظراً لارتكابه جريمة « الزنا » وقد رتبت الأمر بشكل يتلقى فيه كل من الدوق والآنسة « ديلوزى » الخبر بشكل منفصل.

كانت الضربة صاعقة بالنسبة للدوق الذى اطمأن للتقارب الذى حدث بين المربية والدوقة فى الأيام الأخيرة فهو الآن مضطر لمواجهة رجال أقوياء وليس مجرد امرأة مزاجية معقدة مهددة بالضياع فزوجته الحقيقية ستصبح مادة للفضيحة وسيؤخذ منه أولاده ويطاح بأموالهم وآمالهم ومستقبلهم إلى جانب احتمال حدوث انفجار فى المحكمة واحتقار الناس له كل هذا فى الوقت الذى كان فيه بريئا من أى تصرف شائن سوى استخدامه للمربية بالنسبة للآنسة « ديلوزى » فلم يكن موقفها ضعيفاً وفى غمرة اضطرابها وحيرتها قدمت استقالتها التى قبلت فى الحال. وقد قابلها الدوق بعدبضعة أيام من مغادرتها القصر ومعاناتها من الكرب والامتعاض فى أحد الفنادق وحسب شهادة الآنسة « ديلوزى » فيما بعد وقد كان عصبياً قواه منهكة وقد أخبرهابشىء رهيب وصاعق كانت المربية كالدوق غير صريحة فى رسائلها وقد أشارت إلى هذا الشىء الصاعق بـ « أكثر الحوادث بشاعة » وقد فسر المؤرخون الفرنسيون هذا الخبر بأنه ليس أقل من محاولة الدوقة إغراء أحد أولادها الشبان والذى قام بدوره بتقديم احتجاج لأبيه.

تناقض غريب

يقولون أن بذرة الجريمة كامنة فى أعماق كل رجل واحتمال نموها أو اندثارها حسب الطبيعة التى بداخله وهى ترتبط بالمصادفات الغامضة

ويضيف بعضهم وجود سر كبير إلى جانب تلك المصادفة وكان الدوق ممن ينطبق عليهم هذا الكلام وقد خطط لجريمته ببرود وإتقان فقام بإزالة مثبتات دعائم سرير الدوقة المرتفع على أمل أن يطبق عليها ويقتلها قبل اسبوعين من وقوع الجريمة كما أزال الأقفال عن جميع الأبواب بعد إحكامها بشكل لا يتسنى للدوقة سبيل إلا للذى سيدخل منه اختار الدوق صبيحة الثامن عشر من ؟أغسطس لارتكاب جريمته لعلمه أن الحارس فى تلك الليلة سيغادر المبنى مبكراً لارتباطه بموعد آخر فى الرابعة صباحًا تاركًا المنزل دون حراسة إلى أن يستيقظ الخدم فى الخامسة ورسم لارتكابه الجريمة بسرعة دون أن يترك أى شك بعد أن فتح بابا فى القصر يفضى إلى الحديقة مما يوحى بأن دخيلاً ما قداقتحم المكان وارتكب الجريمة الشنعاء.

فشل الدوق فى تنفيذ هذا التناقض المثير الذى يعتمل فى شخصيته فكل خطوة فيها كانت تنبىء عن فاعلها على كل المكائد والتدابير التى اجتهدها فى تنفيذ جريمته . لقد صمم الهروب من هول موقفه فى الوقت الذى أظهر فيه بلادة مدهشة بالإحساس بمأساوية الحدث الحقيقية.

أوت الدوقة إلى فراشها مبكراً فى ليلة السابع عشر من أغسطس وكان معها كتاب تقرؤه على ضوء شمعة وبجانبه صينية عليها بعض المسليات وسكين لم تخف فائدته فى نضالها ضد سفاحها وصل الدوق إلى المنزل فى الوقت الذى أطفأت فيه زوجته شمعتها عند منتصف الليل تقريبا وعلى ما يبدو أنه لم ينم طوال الليل فبعد أربع ساعات ونصف انسل من غرفتين إلى المدخل المفضى إلى مخدع زوجته وقضى غرضه الاجرامى.

مع شروق الشمس كان شارع أونريه يغض برجال الشرطة والمباحث أنكر

الدوق فى البدء اقترانه للجريمة ولكن أجوبته على أبسط الأسئلة كانت تثير الشفقة فلم يستطع تسويغ عدم ارتدائه لثياب نومه التى ماتزال معلقة فى غرفته دون ارتداء ووجود مسدسه تحت جثة القتيلة كما أنه لم يتمكن من تفسير وجود الخدوش التى غطت جسده.

وجاء الدليل الدامغ.. ففى خلال الظهيرة إحتسى جرعة كبيرة من الزرنيخ وأثناء التحقيق قامت محكمة «بيرل» وهى الوحيدة القادرة على محاكمة شخص من هذا المستوى بالقبض على الدوق واستجوابه دون رحمة وبعد ستة أيام من العذاب الدائم قام السم باتخاذ القرار الذى كانت تخشى المحكمة اتخاذه فمات الدوق صبيحة اليوم الذى تم فيه تشييع جنازة زوجته.

لكن الحقيقة التى تنشدها العدالةالفرنسية لم تكتشف بعد فقد تم اعتقال الآنسة «ديلوزى» وتقديمها للمحاكمة وكانت مهمة المدعى العام إثبات كونها المحرض للدوق لارتكاب جريمته الشنيعة على أمل زواجها من الدوق فى النهاية ولهذا فقد ظلت تستجوب يوميا مدة ثلاثة أشهر وتمكن محاميها أخيراً إبعاد التهمة عنها وأخلى سبيلها فتوجهت إلى الولايات المتحدة على الفور وهناك تزوجت من« هرى فيلد » واستقرا فى نيويورك وقد كان له حلقة اجتماعية عرفت بالفصاحة والظرف توفيت السيدة فيلد «ديلوزى» ١٨٧٥ وقد كان زواجها فى ١٨٥١ أى استمر ٢٤ عاماً وعمر يناهز الثالثة والستين وقد نعيت فى الصحف وأشيد بتسامحها واعمالها الخيرية ولم يذكر عن ماضيها جملة واحدة.


كمال قنديل

الفصل السادس



جرائم أخرى متنوعة للمشاهير

٣ أجهزة مخابرات قتلت ديانا

صارت الأميرة ديانا مزعجة أكثر من اللازم ولذلك فإن التخلص منها أصبح واجباً هذا ما يؤكده الكاتب البريطانى نيكولاس دفيس الذى ألف كتاباً صارماً عنوانه « ديانا الأكاذيب والأسرار » روى فيه الساعات الأخيرة من حياة الأميرة ديانا هو كتاب عن الساعات الأكثر إثارة للجدل الساعات التى تضاربت الأقوال حولها وحول من كانوا فيها

قالوا إن المخابرات البريطانية هى المسئولة عن مصرع ديانا فجاء الكاتب ليحاول إثبات أن كلا من المخابربات البريطانية والفرنسية والمخابرات المركزية الأمريكية مسئولة معًا عن مصرع أميرة القلوب والسبب هو أنها صارت مثل الطفلة العنيدة التى تسبب حرجاً للكبار دون وعى . كالفراشة التى تصر على الاقتراب من أكثر المناطق اشتعالاً كى تحرق جناحيها ولا تقوم لها بعد ذلك قائمة .

كان من الممكن أن يمر الكتاب مرور الكرام دون أن يتوقف أمامه أحد دون أن يفعل أكثر مما تفعله كل الكتب التجارية التى كتبت حول مصرع الأميرة

ديانا دون أن تهدف إلا إلى الإثارة والربح كان من الممكن ألا يلتفت أحد إلى الكتاب لولا مؤلفه وما عرف عنه من أمانه ودقة وصلات قوية تتيح له معرفة ما لا يستطيع غيره معرفته ولولا رسمه الدقيق والتفصيلى لمصرع ديانا الذى رفض أن يصفه إلا بأنه مؤامرة ولذلك كانت مفاجآته الحقيقية التي فجرها فى كتابه هى أن قرار التخلص من ديانا قد جاء بسبب نيتها وتوجهها لدعم القضية الفلسطينية قبل مصرعها بوقت قليل.

لقد كانت هناك اجتماعات على أعلى المستويات تعقد فى الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا لبحث التخلص من الأميرة ديانا التى صارت تمثل خطراً حقيقياً وقائماً على أولئك السياسيين الذين شعروا بواجبهم فى حماية بلادهم من أى تهديد أيا كان نوعه وكانت ديانا بجاذبيتها وسذاجتها وابتسامتها الساحرة ونواياها الحسنة أخطر من كل تهديدات الإرهاب والجاسوسية والحروب فى نظرهم.

بدأ الكبار يلتفتون إلى تأثير ديانا الرهيب بعد نجاحها الملحوظ فى تبنيها لقضية تطهير العالم من الألغام المدفونة فيه كانت صورها مع الأطفال المصابين فى انجولا والبوسنة سبباً فى إصابة العالم كله بالذهول والوجوم وباصابتها هى بنشوة طفولية كأنها تزهو بنجاحها فيما فشل فيه الكبار.

لكن الكبار أصيبوا أيضاً من ذلك النجاح الذى لم يكن من الممكن تركه أن يستمر مهما يكن الهدف منه انسانيا سلميا ساميا بعيداً عن كل تعقيداتها السياسية وحساباتها القذرة لم يكن الكبار فى الأوساط السياسية البريطانية والفرنسية والأمريكية قادرين على تخيل ما يمكن أن تؤدى إليه صورة ديانا وهى تقف مع مجموعة من الأطفال الفلسطينيين البؤساء فى معسكر

للاجئين فى غزة أو الضفة الغربية ذلك المشهد الذى قد تبثه كل وكالات الأنباء العالمية كما حدث مع قضية الألغام ليصبح كفيلا بقلب الشئون الداخلية فى البلاد الثلاث رأساً على عقب.

بعبارات أكثروضوحاً فإن جهود ديانا مع الصليب الأحمر كانت من الممكن أن تتسبب فى حرج شديد للحكومات إذا ما تعرضت لأى قضية لا تجدى أو لا تريد الحكومات الثلاث حلها وعلى رأسها القضية الفلسطينية والمشكلة الحقيقة كانت فى حالة تعارض المواقف التى تتخذها ديانا مع مواقف المسئولين ففى هذه الحالة كانت الجماهير ستأخذ صف ديانا بالتأكيد دون تردد والمثال كان واضحاً شعبيتها فى بريطانيا التى تفوق شعبية الملكة نفسها تميل الجماهير إليها وتتبنى آراءها فتسبب المزيد من الحرج للعائلة المالكة البريطانية خاصة مع عقدها النية على ترك انجلترا كى تقيم فى فرنسا أو الولايات المتحدة الأمريكية كى تواصل واجبها الإنسانى نحو العالم حتى ولو أصرت العائلة المالكة على منعها رغم أنها لم تفصح عن طبيعة ذلك الواجب الذى تريد العائلة المالكة منعها منه بكلماتها التى صارت هى العدو الكامن داخل القصر الملكى البريطانى. الأميرة المتمردة التى تخضع كل تصرفاتها وتحركاتها وكل الرجال فى حياتها لمراقبة رجال المكتب الخامس البريطانى الذين اعتبروا علاقتها بعماد الفايد ابن الملياردير المصرى محمد الفايد صاحب محلات هارودز الشهيرة تجاوزا جديداً منها للحدود التى يريد قصر باكينجهام أ يفرضها عليها ولذلك كان هناك قرار حاسم قد اتخذ بشأن ديانا هو أنها إذا قررت استثمار صورتها وشعبيتها لتحريك قضية معينة وعلى وجه الدقة قضية اللاجئين الفلسطينيين فسيتم عندها اتخاذ اجراء صارم

ضدها ما هى طبيعة هذا الإجراء؟ وما هى حدوده لا أحد يدرى لكن المؤكد أن ذلك الإجراء كان يمثل عودة المخابرات البريطانية إلى ممارسة دور كانت قد توقفت عنه منذ زمن، هذا الدور هو تقريرها من هم الأفراد الذين يستحقون الإبعاد بل والقتل دون ابداء أسباب ودون الرجوع حتى إلى سلطات أعلى إن مثلوا خطراً على الأمن البريطانى الداخلى أو الخارجى والسلطة الوحيدة التى كانت المخابرات البريطانية تخشاها وتعمل لهـا ألف حساب كانت هى الصحافة الشعبية التى تترصد كل الأحداث التى تتورط المخابرات فيها كان من الضرورى أن يتم التخلص من ديانا خارج الأراضى البريطانية حيث لا تقوم الصحافة بنبش ما تريد السلطات اخفاءه واظهار الحقائق للجماهير التى تتهلف عليها.

مؤامرة محكمة يرويها مؤلف الكتاب بدأ الاعداد الفعلى لها مع بداية أغسطس ١٩٩٧ بتنسيق مع المخابرات البريطانية والفرنسية لقد اتصل البريطانيون بالفرنسيين ليخبروهم بحاجتهم إلى سيارة خاصة لاعداد حادث الطريق الذى تم تدبيره للتخلص من ديانا وكانت المفاجأة والمصادفة فى آن واحد هى أن المخابرات الفرنسية تملك بالفعل

السيارة المطلوبة معدة وجاهزة للاستخدام هى سيارة مرسيدس يستخدمها نزلاء فندق «الريتز» بانتظام فى تنقلاتهم بين المطار والفندق وتستخدمها السلطات الفرنسية للاستماع إلى المناقشات الدائرة بين الزوار المهين الذى يمثل بعضهم أهدافاً للارهابيين كانت سرقة السيارة عملية محترفين قامت بها عصابة متخصصة فى سرقة السيارات من أمام أحد أشهر المطاعم فى باريس لتجدها ا لشرطة بعد ذلك بستة عشر يومًا وقد تم انتزاع الأجهزة الرئيسية منها وكذلك الجهاز الالكترونى المركزى الذى يتحكم فى النوافذ الالكترونية والعداد والفرامل وكل الوظائف الأساسية فى السيادة والنتيجة: عملية اصلاح شاملة بلغت تكلفتها ٢٠ ألف دولار تحملتها المخابرات الفرنسية التى قام فنيوها باصلاح السيارة وإضافة جهاز لتحديد موقعها أياً كان ثم جهاز تصنت آخر للاستماع إلى كل المحادثات التى تدور داخلها وكانت هذه هى السيارة هى التى وقع عليها الاختيار لتنفيذ عملية ديانا.

كان مصير ديانا قد تحدد فى غرفة الاجتماعات المغلقة التى يعقدها الانجليز والفرنسيون يحسبون فيها خطوات وخط سير ديانا وعماد الفايد منذ هبوطهما فى مطار «بورجيه» فى باريس ويجرون فيها محاولات تخيلية للحادث المنتظر بواسطة سيارة مرسيدس مشابهة تماماً للسيارة المجهزة ثم يقع اختيارها على تنفيذ الحادث عند مدخل نفق اما بسبب نعومته وضيقه الشديد الذى يضمن عدم تحكم السائق فى اتجاهات سيارته مادام ينطلق بسرعة عالية ستفرضها عليه مطاردة مصورى الفضائح للأميرة.

وجاءت ليلة ٣٠ أغسطس كانت ديانا فى فندق «الريتز» طلبت وجبتها الأخيرة المكونة من مشويات مع بعض الخضروات المطهية على البخار تناولتها

وهى تستمع عزف رومانسى يؤديه عازف بيانوا ماهر بينما هناك خاتم ماسى يسقر فى جيب عماد الفايد تسلمه فى صباح اليوم نفسه وبدا أنه ينوى تقديمه لها . كانت تتناول عشاءها بينما عملاء تنفيذ خطة التخلص منها . هذا التحرك هو التوجه إلى شقة عماد فى باريس فالخطة تقضى بتنفيذ الحادث فى حالة توجه ديانا إلى شقة صديقها أما لو لم تفعل فسيتم إلغاء الخطة إلى أجل غير مسمى لكن ديانا وعماد قررا التوجه إلى شقة صديقها أما لو لم تفعل فسيتم الغاء الخطة إلى أجل غير مسمى لكن ديانا وعماد قررا التوجه إلى شقته بعد البقاء لفترة قصيرة فى الجناح المخصص لهما بفندق الريتز واختلط عملاء المخابرات بالمصورين الصحفيين كما يؤكد مؤلف الكتاب وجاءت السيارة المرسيدس المخصصة كى تنقلهما وبذلك تحدد مصير ديانا بشكل نهائى سيتم تنفيذ الحادث فى الوقت المحدد له لكى يبقى لغز حزام الأمان فى السيارة ثغرة لم تتداركها المخابرات فى الوقت الصحيح والحزام الأمان قصة أخرى لا يعرفها الكثيرون فالغريب أنه عند فتح باب السيارة بعد الحادث تبين أن حزامى الأمان لم يكونا مربوطين حول ديانا أو عماد الفايد على الرغم من اهتمام ديانا بحزام الأمان واصرار المقربين منها على أنها لا تنطلق مع ولديها فى أى سيارة إلا بعد تأكدها من ربطها حزام الأمان أولاً فكيف إذن لم تربط ديانا حزام الأمان فى سيارة ينطلق سائقها بسرعة ١٦٠ كم فى الساعة هرباً من المصورين؟ كيف يفوتها ذلك بينما يفرض أبسط قواعد الأمن أن يتأكد حراسها الشخصيون من ربط حزام الأمان بمجرد ركوبها السيارة هل تلف حزام الأمان بمجرد ركوبها السيارة هل تلف حزام الأمان بمجرد ركوبها السيارة هل تلف حزام أمان المرسيدس مثلاً رغم أنه

مجهز وفقا لأقصى مقاييس الأمان والسلامة أم أن افساده كان متعمدا؟ إن لحزام الأمان أهمية قصوى فى حالة ديانا فلو كانت قد ربطته قبل الحادث أو بمعنى أدق لو كان حزام الأمان سليماً لم يتم العبث به لما تعرضت ديانا لذلك الاصطدام العنيف الذى كان السبب الرئيسى لوفاتها وبسبب انقطاع شريان رئيسى فى القلب.

فلاش مباغت انطلق من إحدى كاميرات مصورى الفضائح فى وجه سائق سيارة ديانا كان سبب فى تعميته مؤقتا بحيث يعجز عن رؤية الطريق أمامه وهو ينطلق بأقصى سرعة ممكنة ففقد سيطرته على السيارة التى انحرفت عن مسارها لترتطم بجانب النفق وتحولها الصدمة إلى كتلة من الخردة المعجونة سقفها مضغوط ومقدمتها مهشمة وأبوابها محطمة لكن المثير هو أن ديانا برغم ذلك كله كانت مازالت حية لم تكن حتى نصف واعية عندما وصل الناس إليها ظهرها ملتصق بالتابلوه الأمامى للسيارة والدماء تسيل من أنفها وفمها لكن لا إصابات أخرى ظاهرة أو على الأقل هذا ما يؤكدة موظفوا السفارة البريطانية الذى أبلغوا الخبر إلى قصر باكينجهام فى بريطانيا والذى أبلغ بدوره الأمير تشارلز وولديه فى المكان الذى كانوا يمضون فيه عطلة نهاية الأسبوع .

بعد ثلاث دقائق من الحادث مر طبيب طوارىء يدعى فردريك مايلز قرب المكان بالصدفة البحته وبمجرد أن رأى حالة ديانا سارع إلى انتزاع قناع أكسجين من سيارته كان هو كل ما معه من معدات الطوارىء لكنه أعلن فيما بعد وبشكل قاطع أن ديانا ليست فى حالة خطرة لأن إصابته ليست بالغة ولأن كميات الدم التى تفقدها من فمها وأنفها ليست كبيرة ووصلت

سيارة الإسعاف بعد ست دقائق من الحادث لينسحب الدكتور فردريك وليعلن المسعفون وفاة السائق «هنرى بول» مع الاصطدام ثم يبذلون جهودهم لانقاذ عماد الفايد قبل أن يعلنوا وفاته.

المثير أنه لو كان الحادث قدوقع فى الولايات المتحدة أو بريطانيا لكان من الممكن انقاذ ديانا أن معظم الأطباء اليوم يؤكدون أن كل ما كانت ديانا تحتاجه لانقاذها هو أن يتم نقلها إلى أقرب مستشفى بدلاً من اجراء الاسعافات لها فى سيارة الاسعاف كما حدث فى باريس فمعظم سيارات الاسعاف الفرنسية تكون مجهزة كغرفة عمليات صغيرة متنقلة لا يتحرك إلا إذا كانت تحمل طبيبا وممرضة ذوى كفاءة عالية حتى لا تقتصر مهمتها على مجرد نقل المرضى لأقرب مستشفى بأقصى سرعة ممكنة كما هو الحال فى باقى دول العالم وإنما على اسعافهم داخل السيارة بدلاً من الانتظار للوصول إلى المستشفى.

ربما بدت تلك الميزة براقة لامعة لأول وهلة ج لكن الحقيقة أنها كانت سبباً فى التعجيل بمصرع ديانا بعدما كان من المكن انقاذها لقد وضع المسعفون ديانا تحت جهاز التنفس الصناعى فى سيارة الاسعاف على بعد أمتار من موقع الحادث دون أن تكف عدسات المصورين عن التقاط كل ما يحدث وكانت النتيحة أن انخفض نبضها وتنفسها بسرعة وظل المسعفون يبذلون جهدوا لانقاذدها دون أن يحدد موضع إصابتها الحقيقى لمدة ٤٠ دقيقة كاملة قبل أن يتوقف قلبها لحظتها .. ولحظتها فقط قرر الطاقم الطبى فى سيارة الاسعاف نقلها إلى أقرب مستشفى وسارت سيارة الإسعاف متجهه نحو مستشفى بيتيه سالبا تريار ببطء نسبى حتى تسمح لفريق المسعفين فيها

بمواصلة محاولاتهم لاسعاف ديانا بعد اعادتهم قلبها إلى العمل ووصلت « ديانا » إلى المستشفى وهذ مازالت غائبه عن الوعى بعدما كانت قادرة على النطق ببضعة كلمات عند وقوع الحادث وبمجرد دخولها إلى غرفة العمليات توقف قلبها من جديد ليكتشف الأطباء لحظتها وجود قطع فى شريان قلبها الرئيسى بسبب الحادث واجتمع فريق مكون من إثنى عشر طبيبا لمعالجة ذلك القطع بينما انهمك آخرون فى إجراء تدليك لقلبها وفريق ثالث فى نقل الدم والسوائل الحيوية لها لكن وفاة ديانا أعلنت بعد ساعتين من الجهود الرهيبة لانقاذها فى الرابعة من صباح يوم الأحد ٣١ أغسطس ١٩٩٧ بتوقيت باريس .

حادث غامض

ألمانيا ١٨٢٨ - ١٨٣٣

فى يوم الأثنين من عام ١٨٢٨ شوهد صبى يترنح على طول الشارع فى مدينة ألمانية كان يحد من حوله بحيرة وارتباك وكان يتكلم بلعثمة ولكن جملة واحدة تظهر بوضوح « أريد أن أكون جنديا مثل والدى » .

وعندما أعطى قلم رصاص كتب الصبى اسمه كاسبار هوسر . . كان كاسبار يحمل رسالة غامضة تشير إلى أن والده كان ضابط فى قوة الفرسان وتكمل رسالته « إذا لم تحتفظ به يجب أن تقتله » .

كان كاسبار يتصرف بشكل غريب جداً كان يجلس ساعات يحدق بفراغ فى الفضاء ويأكل الخبز ويشرب الماء فقط .

وكان إذا أكل أى شىء يصاب بالمرض . كان يلتقط الأشياء بين ابهامه والسبابة كأنه لا يعرف كيف يستخدم يديه كانت روية المرآة تربكه كان

يخاف من الأصوات القوية ويفضل الغرف المظلمة كتب عنه أحدهم – يبدو كمخلوق من فضاء خارجى » وصار لكاسبار شهرة وصار الناس يأتون من جميع ألمانيا لرؤيته.

أخذه معلم عطوف وعلمه القراءة والكتابه والرسم فتحركت ذاكرته وتكلم بشكل مفكك عن أحداث من ماضيه.

قال كاسبار أنه حبس فى الظلام سنين عديدة. وكان شخص بملابس قاتمة يأتيه بالطعام والماء وكان الماء مسمما « مضافاً إليه دواء » فى بعض الأحيان وفى أحد الأيام علمه الرجال أن يكتب اسمه ويقول جملته الوحيدة وبعد نوم بسبب مخدر وجد كاسبار نفسه يسير فى ضوء نهار مبهر وكان يبدو حراً .ودوت ألمانيا بالشائعات وأصبحت قضية كاسبار مشهورة فى أوربا كلها ولكن فى إحدى ليالى سبتمر ١٨٢٩ جاءت أخت المعلم إلى المنزل متأخرة فوجدت أثرا من الدم يؤدى إلى من الصالون إلى القبو حيث كان كاسبار يستلقى. لقد هُوجم بوحشية كان الدم يسيل من جبهته حيث ضرب بوحشية وأخذ كاسبار يهزى « الرجل.. الرجل » ولكنه لم يمت وعندما شفى وصف مهاجمه بأنه يلبس ملابس قاتمة – يلبس قناعًا حرير أو قفازات جلدية من هو الرجل الذى أراد أن يقتله.

بعد ذلك بأربع سنين نقل كاسبار إلى مدينة آميباك تحت حراسة جديدة وأصبح كاسبار أكثر عزلة واستغراقاً فى التفكير.

وفى أحد الأيام من يناير ١٨٣٣ كان للقدر دولة سوء جديدة فقد ذهب كاسبار وحده للتنزه فى الحديقة العامة وعندما عاد كان يترنح والدم يندفع من طعنات عميقة فى رئتيه وكبده وحكى كاسبار قصته وهو يلهث :

فقد أغراه رجل غريب طويل بالذهاب إلى الحديقة واعدا إياه بشرح ماضيه وعندما وصل كاسبار أعطاه الرجل محفظة وعندما وصل إليها كاسبار كانت السكين قد غاصت فى صدره.

مات كاسبار بعد ذلك بثلاثة أيام وقد هز موته أوربا كلها وقد اقتنع بعض الناس أنه لابد أن يكون إبنا غير مرغوب فيه لأحد النبلاء بل ربما كان فرداً من العائلة المالكة ولكن لم يكن هناك أى دليل على ذلك ولايزال هنالك نصب تذكارى يقف فى حديقة آميباك يحمل الكلمات المنحوتة « هنا يرقد شخص مجهول قتل من قبل مجهول آخر » وبذلك مات سر كاسبار الغامض معه.

شبح كول لين

فى ابريل عام ١٧٦٢ احتشد متفرجون خائفون فى منزل قذر فى كوك لين وقيل أن شبح امرأة قتيلة كان يسكن فتاة فى الثانية عشرة من عمرها اسمها اليزابيث بارسونز كان والد الفتاة يملك منزلاً للأجرة وماتت مستأجرة تسمى فانى لوينز مؤخرا وظن أنها ماتت بالجدرى ولكن غرفة نوم اليزابيث امتلأت بعد موتها بأصوات الطرق والخدش لقد أرعب الضجيج الجيران الذين اعتقدوا أنها شبح.. وأكثر من ذلك فقد كان الشبح يجيب على الأسئلة بطرقة واحدة من كلمة نعم وطرقتين عن كلمة لا.

وبهذه الطريقة أعلن الشبح نفسه بأنه روح فانى لاينزى واتهمت مستأجر آخر اسمه ويليام كيرنت بقتلها بالسم.

احتشد الجيران فى غرفة النوم وخاف كينت حتى كاد يفقد عقله كانت الأسئلة توجه إلى الشبح هل مت بشكل طبيعى؟ طرقتين. هل مت بالسم؟ طرقة واحدة.

طلب أحد المتفرجين من كينت « أسأل هذا الشبح إذا كنت ستشنق؟

فسأل كينت وأجاب الشبح: طرقة واحدة هل كان هنالك خدعة؟ كان لدى والد الفتاة سبب جيد لجر كينت إلى المتاعب لأن كينت ادعى عليه لفشله فى دفع دين ولكن الغرفة فتشت دون أى طائل واقتنع الجميع بصدق اليزابيث ثم أخذت إلى بيوت مجاورة بعيدا عن والديها فى عدة مناسبات

فطاردها الضجيج.
وقد وضعت اليزابيث ذات مرة فى أرجوحة من الشبك للتأكد من عدم وجود أى خشب تطرق عليه لكن الطرقات الشبكية استمرت مع ذلك.
احتلت القصة العناوين الرئيسية فى الصحف واحتشد اللوردات والسيدات والأطباء والكهنة فى غرفة النوم المضاءة بالشمع فى كوك لين هل يجل أن يشنق كينت.
وشكلت لجنة لتحرى الأمر.
وفحص الأعضاء اليزابيث عدة مرات ولكن نتائجهم لم تكن فاصلة ومقنعة وأخبروا الفتاة أخيراً أن لديها فرصة واحدة لتثبت وجود الشبح وإلا فسترسل مع كل عائلتها إلى السجن.
تركت الفتاة وحدها فى غرفة نوم للجيران ولكن الخدم استمروا فى مراقبتها من خلال ثقوب تلصص وانتظروا وعندما سكن الجميع ونهضت اليزابيث من فراشها وامتدت يدها إلى المدخنة وسحب لوح طرق خشبى صغير خبأته فى شد خصرها تحت غطاء الفراش وبعد ذلك سمعت الطرقات المخيفة بدا أن السرير قد حُلّ وقد أدين بارسونز وزوجته وعدة أشخاص آخرين بالاشتراك فى مؤامرة ضد وليام كينت وأرسلت اليزابيث إلى الريف.
وفى إحدى المرات اتهم شبح فانى خادمتها السابقة واسمها كاروتس بمساعدة كينت على دس السم لها كانت كاروتس فتاة بسيطة شريفة ولذلك اقتنعت بالشبح وأشارت إليه باسم مدام ولكن الاتهام أساء إليها.
ولكن القصة لم تنتهى هنا ففى أوائل القرن التاسع عشر فتح تابوت فانى لاينز ولم يوجد أى أثر للجدرى على وجهها وكانت ملامحها محفوظة بشكل غير عادى وهذا تأثير ينتج عن وجود الزرنيخ فى الجسد.
هل ماتت مسمومة بعد كل هذا؟ هذا ما لن نعرفه فقد فجرت الكنيسة خلال الحرب العالمية الثانية ودُمر كفن فانى إلى الأبد.

الفهرس

